

روائع المسرح العالمي

١١

# الألم

مسرحية تشيكية

تأليف : كارل تشابك

ترجمة : محمد عزيز رفعتا

مراجعة : صالح زكي

تقديم : دريغى خبشة

الجمهورية العربية المتحدة  
وزارة الثقافة والإرشاد القومي  
إدارة العامة للثقافة

امام

تأليف

كارل تشابك

*The*  
**MOTHER**

By

KARL CAPEK

# مقدمة

بقلم

الأستاذ د. رجبى خضيبه

## كارل تشابك

والمسرح الحديث في وسط أوروبا

كارل تشابك Karel Capek مؤلف «مسرحية  
الأم» مخرج وكاتب مسرحي وقصاص وصحفي تشيكوسلوفاكي  
من مواليد ماله سقاتونوفيس إحدى مدن بوهيميا التي كانت  
في وقت مولده ( ٩ يناير سنة ١٨٩٠ ) ولاية من ولايات  
إمبراطورية النمسا والمجر ، تلك الإمبراطورية التي منيت بالهزيمة  
في الحرب العالمية الأولى ( ١٩١٤ - ١٩١٨ ) وتمزقت  
شطر ملد ، وقامت على أنقاضها جمهوريات تشيكوسلوفاكيا  
والنمسا والمجر ويوغوسلافيا ، كما انسلخت عنها أجزاء أخرى  
لتنضم إلى بلاد أخرى .

وكان والد تشابك طبيباً ملحوظ المكانة فأحسن .

تربية ولده الذى تخرج فى أحسن جامعات أوروبا فى ذلك  
العهد ، إذ التحق بعد الفراغ من مرحلة تعليمه الثانوى  
بجامعة تشارلز المشهورة فى مدينة براغ - عاصمة  
تشيكوسلوفاكيا الآن - ثم تخرج فى جامعة برلين ثم  
فى جامعة السوربون بباريس ... ومن هذا نلاحظ أنه كان  
يجيد الألمانية والفرنسية إلى جانب لغته التشيكية .

ولم تكد تقوم جمهورية تشيكوسلوفاكيا سنة ١٩١٨  
حتى وهبا تشابك روحه وقلبه ودمه وقلمه وأدبه ...  
فكان بهذا أكبر نصير لرجلها البطل ورئيسها العظيم الرئيس  
توماس جسر ينجيو مازاريك الذى كان همه ، كما كان هم  
تشابك ، قيام ديمقراطية سليمة قومية عظيمة ... وقد كان  
لها ما أراد .

وكان أول اشتغال تشابك بالصحافة عندما اختير عضواً  
فى الهيئة الرسمية المشرفة على الصحافة التى أنشئت سنة ١٩١٩  
لتكون رمانة الميزان بين التيارات الحزبية المتناحرة والتى  
كانت تعصف بالبلاد ذات اليمين وذات اليسار - وبالأحرى  
بين الأحمر وبين البيض ، مما لم يغب خطره عن فطنة  
الرئيس مازاريك وفطنة تشابك ، فأنشئت تلك الهيئة لتوحيد  
الكلمة وتوجيه الصحافة إلى ما ينفع القضايا الوطنية وخدمة  
أهدافها ...

وقد ظل تشابك عضواً فى هذه الهيئة من سنة ١٩١٩

إلى سنة ١٩٢٣ حينما عين رئيساً لتحرير أكبر صحيفة في البلاد (Narodni Listy) وحيث ظل من أكبر أنصار مازاريك وإدوارد بنس .

على أن تشابك عمل بالمرح قبل ذلك كله . . . إذ لم تكد الحرب العالمية الأولى تندلع نيرانها حتى كان يعمل مخرجاً بمرح البلدية في مدينة براغ . . . وظل هناك حتى أنشأ مسرحه الخاص ( مسرح الفن في فينوهرادى ) وفي هذين المسرحين كان تشابك يمد المسرح التشيكي بتلك الدماء الحارة الدافئة التي سرت مسرى الدم في كيانه منذ تلك السنين التي قضاها في برلين وفي باريس .

. . .

ونهضة المسرح التشيكي جزء من نهضة المسرح في وسط أوروبا . ومن ثمة وجب أن نلم للمامة خاطفة بتلك النهضة فنذكر أن شعوب هذه البلاد خايط من الأجناس السلافية ( أى الصقلبية ) والأجناس اللاتينية ، ومن هنا اجتمع لها نور الشرق وجده ، وإقباله على العمل ، وهيامه بالحربة ، ونخفة روح الأمم اللاتينية ومرحها وهيامها بالفنون والأدب والشعر والموسيقى . ونهضة المسرح في تلك البلاد ترجع إلى ما ترجع إليه تلك النهضة في الأمم اللاتينية إلى عصر النهضة ، أى إلى القرنين الخامس عشر والسادس عشر . . . إلا أن غزوات الأتراك التي وصلت إلى فينا

نفسها خلقت نكسة في تلك النهضة وأوقفت تيارها ولا سيما في البلاد التي نكبت بظلام الحكم التركي وجهالاته التي ابتلينا نحن بها في الشرق العربي أضعافاً مضاعفة ... وماذا كان الأتراك يعرفون من الفنون ، ولا سيما المسرح ، أكثر من القره قوز وخيال الظل ... وهما مع ذلك مما سرقه السلطان سليم من مصر ؟

على أن شيئاً من الحياة دب في دنيا الفنون مرة أخرى في تلك البلاد ، ولا سيما بعد أن أفاقت أوروبا من أهوال الحروب النابليونية التي كان مؤتمر فيينا ( ١٨١٥ ) خاتمة لها ، وأخذت أعلام السلام ترفرف مرة أخرى ، ولأى حين ، على هذه الأصقاع ، وأخذت الفرق المسرحية الألمانية ، وبعض الفرق الفرنسية والإيطالية تزورها وتعرض فيها مما كان له أثره في إيقاظ الحاسة الفنية النائمة وتشمير الشباب عن ساعد الجلد لخلق المسارح القومية والمسرحية القومية .

ففي هولندا التي اقتسمتها روسيا وبروسيا والنمسا في مطالع القرن التاسع عشر كان الكتاب المسرحيون يكترون من كتابة المسرحيات التي يستهضون فيها الهمم ويتنبأون بعودة استقلال بلادهم ، ولا يزالون بكتابة المسرحيات التي تحض على الثورة ضد المستعمرين الذين استباحوا

استقلال بلادهم . . فلذا منع الرقيب تمثيل تلك المسرحيات  
راحوا يطبعونها بالآلاف ويوزعونها للقراءة . ومن أشهر  
كتاب هذه المسرحيات الوطنية الكاتب بول جوز سلوفاكى  
Juljusz Slowacki ( ١٨٠٩ - ١٨٤٩ ) الذى دعا إلى  
الثورة المسلحة فى مسرحيته « كوردجان » وطالب ببذل  
المهج والأرواح فى سبيل استنقاذ استقلال الوطن من الدول  
الثلاث مهما بلغت التضحيات . وسرى كيف ترددت  
تلك الروح العظيمة فى مسرحية « الأم » عند ما يجيء دور  
الكلام عن « تشابك » . وقد كتب سلوفاكى طائفة أخرى  
من المسرحيات الرومنسية التى نسج فيها على منوال  
شكسبير ، ولعله كان متأثراً أيضاً بالكاتب الألمانى شيللر  
فى مسرحياته الرومنسية الوطنية .

وإذا تركنا كتاب الملاحى البولنديين جانباً - وما أعظمهم  
فى هذا الميدان وما أرقهم - وجدنا من كتاب المسرحيات  
الوطنية العظام ، بل أعظم الكتاب الفنانين فى ميدان  
المسرحيات الوطنية جميعاً الكاتب ستانسلاف فسپيانسكى  
Stanislaw Wyspianski ( ١٨٦٧ - ١٩٠٧ ) ذلك الذى  
كان زهرة جماعة « بولندا الفتاة » ورائدها الأول . . . وهى  
الجماعة التى أيقظت الوعى الحر فى بولندا كلها ، وأقضت  
مضاجع الروس والبروسيين والنسويين فراحوا ينكولون  
بجميع البولنديين ويهجرونهم من بلادهم ، ويأتون بأعداد

ضحمة من مواطنيهم ليحلوا محلهم . . ومع ذلك لم يفلحوا  
في أغراضهم ، وظلت قلوب البولنديين عامرة بالإيمان بوطنهم ،  
وذلك بفضل تكاتف رجال الأدب والفن والفكر ، الذين  
كانت تتألف منهم جماعة بولندية الفتاة ، وعلى رأسهم  
فسيبانسكى الذى كان يجيد ألف حرفه وحرفة كما يقولون ،  
إذ كان كاتباً مسرحياً وطنياً عظيماً ، ومصمم ملابس مسرحية  
ومصمم مناظر وديكورات مسرحية ومديراً مسرحياً ومخرجاً  
مسرحياً لا يشق له غبار . . . كما كان أديباً وخطيباً مفلحاً  
يحرك قلب الجماهير . . . أضف إلى ذلك كله أنه كان مصوراً  
عظيماً وشاعراً ومخططاً للمدن ورساماً لجدران الكنائس وأبهاء  
القصور العامة ، ورساماً على زجاجها ، ومصمم أثاث من  
الطراز الأول ( ١١ )

ومن أعظم مسرحياته الوطنية « ليلة نوفمبر » التى صور  
فيها ثورة نوفمبر البولندية سنة ١٨٣٠ التى زلزلت قلوب  
البولنديين كما هزت الأرض تحت أقدام المستعمرين .  
ولما كانت الرقابة تقف لحركات التحرير بالمرصاد  
في بولندا ، فقد كان فسيبانسكى مضطراً إلى نشر  
مسرحياته في باريس . . حتى تلك المسرحيات التى كان  
خاضعاً فيها لتأثير الكتاب الإغريق القدامى وتأثير شيكسبير .  
وقد كان يتخذ موضوع بعض الروايات اليونانية وسيلة  
لعرض بعض قضايا بلاده المغتصبة كما أوضحنا ذلك من

قبل ونحن نكتب عن جان چيرو دو ، كما كان يدخل  
بعض الشخصيات الكلاسيكية في مسرحياته القومية كما فعل  
ذلك في مسرحيته « ثورة نوفمبر » . وقد كان فسيانسكى  
يكثُر في مناظره من الهجاء البشرية الحاشدة لكثرة ما كان  
يصور قضايا وطنه. ويعرض مشاكله بطريقة التي تلهب  
المشاعر وتؤجج الأحاسيس .

لقد استطاعت بولندا ممثلة في كتابها المسرحيين أن تنتصر  
في حربها الاستقلالية سنة ( ١٩٢٠ - ٢١ ) ... وهذا درس  
يجب أن نعيه نحن العرب إذا أردنا أن ندس أنف الاستعمار  
في التراب .

• • •

ونَهضة المسرح في بلاد المجر ترجع هي الأخرى إلى  
عهد النهضة ، أو بالضبط إلى سنة ١٥٥٠ ، وقد وجدت ثمة  
مسرحيات دينية من جميع أنواع هذه المسرحيات ، ولا سيما  
مسرحيات الأسرار Mystery ومسرحيات الخوارق  
Miracles والمسرحيات الأخلاقية Moralities وهي تلك  
المسرحيات التي كانت تظهر حيثما كان للكنيسة الرومانية  
شيء من حول وطول وسلطان . على أن نهضة المسرح غير  
الديني بدأت هناك سنة ١٦٩٦ حينما أنشأ الكاتب المسرحي  
المجري المشهور جورج فلغينزي G. Felvinczy جمعية

الممثلين المحترفين « التي كانت تخرج مسرحياتها بكلتا اللغتين اللاتينية والمجرية .

وفي أوائل القرن التاسع عشر يظهر الكاتب المجرى الوطني الكبير قاطونا Katona ( ١٧٩٢ - ١٨٣٠ ) الذي درس شيكسبير وتناهد عليه ، وشرع يقلده في طائفة من المسرحيات كان من أشهرها مأساة الوطنية الرائعة : Bank Ban التي تمحض على الغداء والتضحية في سبيل الوطن والتي ذاع أمرها بعد وفاة مؤلفها . وفي سنة ١٨٣٧ تألفت في العاصمة بودابست جماعة ( المسرح القومي ) وهي الجماعة التي وجهت المسرح المجرى توجيهاً وطنياً رائعاً كان له في نهضة المجر ما كان للكاتب المسرحيين والفنانين الذين كانت تتألف منهم جماعة « بولسدة الفتاة » من أثر في نهضة بولندا وفوزها باستقلالها ومحافظةها على قوميتها .

ومن أشهر كتاب هذه الجماعة وفنانها المسرحيين الكاتب والمخرج المسرحي الكبير سزجليجيتي Szigligeti وهذا هو الاسم المستعار الذي كان يكتب به صاحبه يوسف سزاتماري Szatmary كاتب الملاحى الشعبية المجرية الفكهة والمأسى الوطنية الرائعة ، والرجل الحبير بالإخراج المسرحي الذي يوائم أمزجة الفلاحين المجرين ، ويخلق منهم جيشاً من الغدائين المخلصين .

وإذا تركنا كتاب المسرحيات الوطنية إلى حين لم نجد

بدأ من الإشارة هنا إلى الكاتب العبقري إمري مداش  
Imre Madach ( ١٨٢٩ - ١٨٦٤ ) مؤلف مسرحية  
« مأساة الإنسان » تلك المسرحية التي كان لها من الأثر في  
رفعة المسرح الهجري ما كان لمأساة جيته « فاوست » من الأثر  
في رفعة المسرح الألماني .. وموضوعها هو نفس موضوع  
فاوست الذي يحاول فيه الشيطان إغراء الإنسان باتخاذ  
موقف سلبي مدمر في هذا الوجود .

على أن أعظم الكتاب المحررين شهرة في العالم كله هو  
بلا شك الكاتب فيرنك مولنار Ferenc Molnar  
( ١٨٧٨ - ٠ ) ذلك الكاتب الفذ الذي كرس نفسه  
لتصوير الحياة من خلال منظره الوردى الجميل وإضفاء  
المشاعر الرقيقة على كل ما تزلجر به من قيم . ومولنار  
هو بلا شك من أساتذة كارل تشابك ومن تركوا فيه  
أثرهم الفنى العميق ووجهوه وجهتهم الخيالية التحليلية الخلابه ،  
وبالأحرى نحو المسرحية الخيالية Fantastic drama  
أو الـ Fantasy أو الـ Phantasy والمسرحية  
السيكولوجية التحليلية أو الـ Analytical-psychological  
drama ومن هنا عظمة كل من مولنار وتشابك ...  
ولاسيما أنهما لم يكونا يتخذان المسرحية الخيالية مجرد  
إمتاع الناس ، وإدخال المسرة على نفوس المتفرجين ،  
بل لكى يثيرا بها الأحلام العظيمة الكريمة في النفوس

وحفز الهمم إلى جلائل الأعمال ، ومن هنا كان يختلط في مسرحهما جلال الفن وجمال الهدف ... أضف إلى هاتين الطريقتين أشهى ثمرات المذهب الواقعي .. وبالأحرى ... الطريقة التعبيرية Expressionism العظيمة التي ينفذ الكاتب بواسطتها من الواقع السطحي إلى أعماق الروح الإنسانية ، بعد أن يقذف بهذه الروح في أزمة من أزمت الحب أو الجريمة أو مصلحة من مصالح الوطن العليا ، أو قضية من قضايا الإنسانية المعقدة ، ثم لا يزال يرفع من حرارة تلك الأزمة حتى ترى الروح آخر الأمر عارية أمامنا فوق المسرح تكاد نلمسها ونتملأ بها ... كما نلمس هذا في مأساة « الأم » .

ومن أهم مسرحيات مولنار التحليلية مسرحيته Jozsi التي عالج فيها مشكلة أبناء الأغنياء الذين أسيتت تربيتهم معالجة نفسية تحليلية .

على أن أروع مسرحياته الخيالية ذات الشهرة العالمية هي مسرحيته الخالدة « ليليوم Lilliom » التي ظهرت سنة ١٩٠٩ وتدور عن الحب في الحياة الدنيا ، وفي الحياة الآخرة بعد الموت .. ذلك الحب الذي كان يربط قلب الزوج العاشق ليليوم بقلب الزوجة العاشقة جوليا ... ثم وفاة الزوج بعد أن ينجب من زوجته ابنتها لويز .. ثم عودة روح الزوج من الدار الآخرة بعد خمس عشرة سنة متجسدة في شكل أحد

الشخاذين ليدكرها بزوجها المتوفى ، وليحدثها عن العالم  
 الثانى ، وما لقى فيه أمام محكمة السماء - من عدالة بسبب  
 جرميته اللتين ارتكبهما عندما كشف صبوة زوجته إلى  
 عشيقها الجديد النجار . إننا سنرى فى مأساة « الأم » ظلا  
 ممدوداً من « ليليوم » ولو استعرضنا هنا جميع مسرحيات  
 مولنار لأدركنا أنه كان من أكبر أساندة تشابك حقا . . .  
 ولا سيما فى الكثير من مسرحياته الخيالية هذه التى ظل  
 يكتب الشيء الكثير منها حتى كتب أخرها « الحورية الطيبة »  
 سنة ١٩٣٢ والتى من أروعها مسرحياته « الشيطان » و « الذهب »  
 و « البجعة » و « السحابة البيضاء » و « الحرف البلورى » و « الأولمپ » .  
 وقد حمل عبء النهضة المسرحية فى المجر إلى جانب  
 مولنار كتاب آخرون كان الكثير منهم صدى للمذاهب  
 المسرحية الجديدة ، ولا سيما للمذهبين الواقعى والطبيعى فى كل  
 من النرويج والسويد وألمانيا وروسيا وفرنسا . . ولا نرى داعياً  
 للتحدث عنهم هنا لانعدام الصلة بين فهم ومذاهبهم ، وفن  
 تشابك ومذهبه ، بالرغم من عمق أثرهم فى نهضة المسرح الهبرى .

• • •

والنهضة المسرحية فى النمسا وإن تكن لحة من النهضة  
 المسرحية فى ألمانيا إلا أن ثلاثة من الكتاب المسرحيين  
 النمساويين استطاعوا خلق فن مسرحى نمسوى مستقل له  
 شخصيته المستقلة ومعاله المحددة ... وأول هؤلاء الكتاب

ولعله أعمقهم أثراً في تلك النهضة الكاتب « هرمان بير  
Hermann Bahr » ( ١٨٦٣ - ١٩٣٤ ) الذي طرد من  
فيينا وهو في الثامنة عشرة . . وفي أول حياته الفنية - لشدة  
ما كان يتحمس لفنان الأوبرا الأشهر رتشارد فاغنر الذي كان  
قد توفى في ذلك الوقت بانساً مغموط الحق مجهول المكانة ، لم  
يعرف له مواطنوه حقه وإن أصبح اليوم حلم الحالمين في عالم  
الأوبرا ودنيا الموسيقى المسرحية الخالدة .

وولى بير وجهه شطر برلين حيث ربط أسبابه بأسباب  
أشهر أدبائها وكبار فنانيها فأفاد منهم الكثير . . وبعد أن أقام  
ثمة من سنة ١٨٨٤ إلى سنة ١٨٨٧ ذهب إلى فرنسا ثم أسبانيا  
ومراكش ثم إلى روسيا . . وهكذا رأى الكثير وواكب  
ألواناً من النهضة المسرحية في بلاد كثيرة . وفي سنة  
١٨٩٢ عاد إلى فيينا حيث أصبح رئيساً لتحرير مجلتها الأدبية  
الفنية المشهورة Die Zeit . وقد كان بير يحلم بإنشاء مدرسة  
نموية للفنون والآداب والمسرحية والفنون التشكيلية . وقد  
شمر لتحقيق هذه الأمنية عن ساعد الجهد ، وكان له من  
كفائاته المتعددة خبر معوان على تحقيقها . . فلقد كان ناقداً  
ومحرراً وكاتباً مسرحياً وقصاصاً ومديراً ومخرجاً مسرحياً . .  
كما كان روح جماعة « فيينا الفتاة » وقلبها النابض . وكان  
يشجع شباب الأدباء وصغار الفنانين ويهمهم ويدفع بهم  
دفعاً نحو آفاق المجد ، ويتحمس لأعمالهم ويساعدهم كلما دعت

الحاجة إلى مساعدتهم ... وقد ظل بير أعظم شخصية أدبية  
فنية في النصف مئتي أربعين عاماً لم يكف خلالها عن النقد  
وكتابة القصص وتأليف المسرحيات ، وإليه يرجع الفضل  
في خلق « المسرحية الفينية » نسبة إلى فيينا أو ال : Wiener  
Stück التي لم يفقه فيها إلا الكاتب النمساوي شنتزler .

لقد كتب بير ثمانين مسرحية وأخرج للمسرح الحر  
(الفرى بوهن) في برلين كثيراً من مسرحياته الواقعية  
والطبيعية ، وقد تأثر هناك بحركة المذهب التعبيري الذي  
أشرنا إليه آنفاً ... وقد كان له أثره العميق بلا شك  
في تشابك وذلك من نواح كثيرة متعددة ، أهمها فنه  
المسرحي ومسرحياته ومقالاته في النقد المسرحي .

أما الكاتب الثاني الذي يلي بير في أهميته وعمق أثره  
في المسرح النمساوي فهو الكاتب آرثر شنتزler A. Schnitzler  
( ١٨٦٢ - ١٩٣١ ) وهو وإن لم يكن له أثر يذكر في  
كارل تشابك ، فقد كان له أثر في المسرح الهجري قطعاً ...  
وأهم ما يذكر عن شنتزler تساميه بالمذهب الطبيعي ، ثم  
مسرحياته النفسية التحليلية التي لا يعيها بكل أسف إلا أنها  
تنبع من المسائل الجنسية وتدور حولها ، وإن يكن هذا هو  
الذي جعل لها مسحة التعبيرية التي أكسبتها أهميتها . والعجيب  
أن مزايبا شنتزler المسرحية كانت تتجلى أيضاً في قصصه .  
وهو من هنا يشبه الكاتب الإنجليزي جون جواز وردى .

وفلسفة شتزرلر تدور كلها حول كلمته الخالدة :  
« إننا كلنا نقوم بتمثيل أدوار في الحياة .. والسعيد هو الذى  
يعرف دوره قبل أن يقوم بتمثيله »

ونغض الطرف عن كتاب المذهب الطبيعى النمساوين  
وعلى رأسهم الكاتب كارل شونهر K. Schoenherr لفضالة  
أثرهم فى تشابك وإغراقهم فى حمأة هذا المذهب إغراقاً  
لم يكن يحظر له ببال .

والكاتب النمساوى الكبير الثالث هو ، هوجو - فون -

هوفمانستال Hugo von Hofmannsthal (١٨٧٤-١٩٢٩)

الذى غلبت شهرته فى ميدان الشعر الفخم القوى الديباجة على  
شهرته بوصفه كاتباً مسرحياً . وقد بدأ حياته المسرحية  
بنظم قصيدة مسرحية ، وهو فى السابعة عشرة من عمره . وقد  
كان أحد أعضاء جماعة « فينا الفتاة » ولم ينفك ينشر  
قصائده العاطفية وتمثلياته الخيالية ورسائله ومخطوطات  
قصص للأوبرا . وقد كان هوفمانستال مشغولاً بالأنواع المسرحية  
الجديدة وصور التعبير المسرحى الطريف ، وإن لاحظنا  
أنه كان يلجأ إلى الموضوعات الإغريقية القديمة يلتمس  
فيها الوسيلة للتنفيس عن آرائه ووجهات نظره فيما تضطرب  
به نفسه والنفس الإنسانية بعامة من مختلف الخواطر  
وهموم الفكر ، متخذاً من براعته الأدبية وموهبته فى حسن  
الأداء ذريعة لتقديم ألوان من الفن غير الذى كان يقدمه

لنا كتاب المسرح الإغريقي القديم . لقد كانت مواهب هوفمانستال تتجلى في أعظم سماتها عند ما يكتب تمثيلياته بالشعر .. وقد جرب النثر مرة ففشل وفشلت مسرحيته . ومن ثمة تلك الرابطة القوية التي تربط في أذهبه بين الشعر القوى الطلي ، وبين التخيل البديع الرائع الذي يسحرنا ويأخذنا معه إلى عالم الأعماق .. أعماق النفس وأغوار الروح ، مما يتميز به المذهب التعبيري . ولقد كانت الأساطير اليونانية ، بحراً لا ينضب معينه لخيال هوفمانستال الذي كتب للموسيقار شتروس أعظم أوبراته .

\*\*\*

وبعد .. فهذه هي أهم الخبائر التي اختلطت بعبقرية كارل تشابك فصنعت منها الأعاجيب .. وإن لم ننكر تأثيره بالمدارس الألمانية المشهورة التي كان المذهب التعبيري في مقدمتها ، وعلى رأس كتابه منشئ هذا المذهب الكاتب الأشهر فرانك ودكند F. Wedekind ( ١٨٦٤ - ١٩١٨ ) . الكاتب المتعدد المواهب الذي كان يجمع بين الصحافة وأعمال السيرك وإخراج الفودفيالات وكتابتها وكتابة القطع المضحكة لهجة Simplicissimus الفكاهية والتمثيل في أشهر الفرق الألمانية وسعة الاطلاع على فلسفة نيتشه وماكس شترنر M. Stirner وهيامه بمسرحيات إبسن وسترنديبرج وهاوبتمان ؛ لقد كان ودكند حرياً بأن يكون

نبي المذهب التعبيري لولا إغراقه في العضلات الجنسية التي  
قد تجرح الحياء وتصدم المشاعر ... مما يجعلنا نكتفى بتلك  
الإشارات إثارةً للسلامة .

بهذا كله تتمتع تشابك وعاش فيه ثم جرى في غباره  
مرة ، وأصبح في ميدانه الفارس المجهلي مرات .

لقد بدأت نهضة المسرح التشيكي نهضة دينية كما قدمنا  
أى بالمسرحيات الدينية التي كانت أول ما عرفت أوروبا من  
التمثيل في عهد النهضة ، وإن تخللت تلك المسرحيات  
فصول مسرحية غير دينية ... وبالأحرى فصول ...  
أو فواصل .. من صميم الحياة الدنيا ولا شأن لها بالدين ..  
كانت تتميز بصيغة هجائية ساخرة ، فيها لمز وفيها تعريض  
أغضب المصلح الديني جون هس John Huss فنثار عليها  
مما جعل المسرح عرضة لسخط البروتستنت وعرض كل  
من يفكر في أى نشاط مسرحي للنفي من البلاد . وكان  
تداول الحكم الألماني والنمساوي على البلاد مما يعطل قيام أى  
نشاط مسرحي في ميدان المسرحية القومية ، ومن ثمة لم  
يكن التشيكيون يرون إلا ما تعرضه عليهم فرق الأوبرا  
الإيطالية والفرق الألمانية من الألوان المسرحية الأجنبية  
على أن هذا الضغط الوبيل على الشعب التشيكي أخذ يخف  
قليلا قليلا ، حتى إذا كان عام ١٨٨١ أنشئ المسرح القومي  
من حصيلة التبرعات التي جاد بها الشعب التشيكي ولم تسهم

فيها الحكومة المنسوبة بأى نصيب... وقد ألهمت النيران ذلك المسرح فعاتد التبرعات تفعل فعلها من جديد ، وأعيد بناء المسرح القومى سنة ١٨٨٣ فى أجمل أحياء براغ ، ثم توالى بناء المسارح الأهلية والحكومية بعد ذلك نتيجة لجهودات وطنية صرفة .

على أن التأليف المسرحى التشيكي كان يجرى خلسة ومن وراء أفنية المستعمرين ... وقد كان الكاتب ف . ك كليكبرا ( ١٧٩٢ - ١٨٥٩ ) يكتب ملامحه الريفية كما يكتب مسرحيات بطولة ألمانية وقطعاً تاريخية ... كما كان له تلاميذ يقلدونه ويكتبون مسرحيات خيالية وخرافية أيضاً ولم تثبت المسرحية التشيكية وجودها الحقيقى حتى ظهر الأخوان كارل تشابك ( ١٨٩٠ - ١٩٣٩ ) وشقيقه يوسف تشابك ( ١٨٨٧ - ٠ ) فلما أولها المسرح التشيكي بروائعه التى نال الكثير منها شهرة عالمية وعرضت فى أعظم مسارح أوروبا وأمريكا حيث نالت من النجاح أضعاف ما نالته فى تشيكوسلوفاكيا نفسها .

وجميع النقاد مجمعون على أن مسرحية كارل تشابك التى سماها R.U.R. هى أعظم مسرحياته جميعاً ، بل هم يعدونها تحفة عالمية لا يرق إلى مرتبتها عدد كبير من مسرحيات العالم ، ولا سيما المسرحيات التعبيرية .

و R.U.R. هو اختصار لـ Rossum Universal Robots

و Robot هو الإنسان الآلى . : والاسم يشير إلى تلك الهيئة الصناعية أو الشركة التى تنتج بالجملة هذا الإنسان الآلى ليقوم عن العمال والخدم من البشر بأعباء الأعمال المرهقة التى تشق عليهم وتنهك قواهم ... إلا أن شيئاً من المشاعر الخفية لا يلبث أن ينمو فى أغوار هذه الكائنات الجبارة يجعلها تنور على مستخدميهم من البشر ... وتكون نتيجة الثورة غلبة هذه الكائنات الآلية وتحكمها فى أعناق الناس جميعاً ... وهنا تنعكس الآبة إذ يصبح الناس هم الخدم الآلين لهذه الكائنات . . غير أن شيئاً من مشاعر الحب يتحرك فى جوانح اثنين من هذه الكائنات فى آخر المسرحية فيضع حداً للثورة ويكون سبباً فى أن تسود المحبة والولاء بين الجميع . . . وهكذا تولد الحياة من جديد فى صميم هذا الإنسان الآلى . والمسرحية ... شأن مسرحيات تشابك التعبيرية كلها ... تتحرر قليلاً من بعض خصائص المذهب التعبيرى وإن خضعت لأهم مبادئ هذا المذهب . . . ففى المذهب التعبيرى يستحسن وجود بطل واحد للمسرحية يوقعه المؤلف فى أزمة نفسية كما ذكرنا آنفاً ، ثم يسلط عليه جميع الأضواء بعد ذلك وتكون جميع الشخصيات التى تشترك معه فى الموضوع شخصيات ثانوية ، أو شخصيات خيالية تنبع من وهم الشخصية الرئيسية ، وتصوراتها التى تثيرها فى نفسها المخاوف . . . ثم يمضى المؤلف فى زيادة

حدة الأزمة النفسية في نفس البطل حتى تتعري روحه  
آخر الأمر ، وينكشف المستور من أسرار تلك النفس في معظم  
المشاهد الأخيرة من المسرحية . ولكن تشابك في مسرحيته  
التعبيرية تلك ، وفي معظم مسرحياته التعبيرية ، ومنها  
مسرحية الأم ، يضحى بذلك العنصر من عناصر المذهب  
ويجعل للمسرحية أكثر من بطل ثم يوقعهم جميعاً في أزمات  
نفسية لايزال يرفع من حرارتها حتى تنتهي المسرحية . . .  
وفي رأي أن هذه حسنة لتشابك وليست سيئة قط . . .  
والعبرة بطريقة المعالجة ، وليست العبرة بالجمود في قيود  
المذهب . . . وحسب تشابك أنه يمتساز عن معظم جبايرة  
المسرح الألماني نفسه ، وعلى رأسهم قيصر وفرفل وودكند وتولر  
Toller وبرخت وغيرهم بطلاوة التخيل ، ووضوح الهدف  
ويسر التغافل إلى أغوار النفس الإنسانية .

لقد ظهرت R.U.R. سنة ١٩٢١ ليسخر فيها من تلك  
الحياة الآلية التي أخذ الناس يحيونها في شرق أوروبا . . . فلما  
شبت الحرب العالمية الثانية واجتاحت جحافل هتلر أرض  
بولندا هذا الاجتياح المهمجى ، ارتفعت شهرة R.U.R. وشهرة  
صاحبها الذي أسلم الروح قبل أن يرى البرابرة الغزاة يدسون  
ثرى الوطن بالآلآت التي لا عقول لها .

وفي سنة ١٩٢١ أيضاً كتب بالاشتراك مع أخيه يوسف  
تشابك ملهاتهما الخيالية اللطيفة : « العالم الذي نعيش فيه »

أو « ملهاة الحشرات » أو « حياة الحشرات » التي يصوران فيها بنى الإنسان في صورة الحشرات لإظهار الوسائل المحزنة المؤلمة التي يستعين الناس بها هناك على معاشهم . وهذه الملهاة الخفيفة تختلط فيها عدة مذاهب مسرحية اختلاطاً جميلاً . . إنها ملهاة خيالية Fantasy يتجلى فيها المذهب التعبيري والمذهب الرمزي على أساس متين من المذهب الواقعي . وقد نجحت الملهاة في براغ نجاحاً هائلاً ، كما نجحت أيضاً في مسارح أمريكا وغرب أوروبا أضعاف ذلك .

وفي سنة ١٩٢٢ ظهرت مسرحية كارل تشابك : « سرماكروبولس » The Makropulos Secret .. التي يناقش فيها فكرة طول العمر ، وهل من الخير للإنسان أن يعيش ثلثمائة سنة مثلاً ؟ وينتهي فيها إلى أن طول العمر وبال على صاحبه ، وخير للمرء ما دام قد انتهى من رسالته في الحياة أن يودع الحياة . . وهو في ذلك يقترب من أبي العلاء الذي يقول :

« تعب كلها الحياة فما أعجب إلا من راغب في ازدياد »  
لولا أن تشابك ليس متشائماً مثل أبي العلاء . وتشابك في هذه المسرحية يناقض جورج برنردشو في مسرحيته التي ظهرت في سنة ١٩٢١ وهي : « العودة إلى ماتوشالغ » Back to Methusalem . . والتي يجهد فيها شو طول العمر لأن الإنسان لا يموت عادة إلا وهو أرجى ما يكون نخبرة

وتمرساً بالحياة وكفاية عقلية إذا كان من المحافظين على  
صحتهم في غير تقدير أو إسراف .

ثم تتوالى مسرحيات تشابك الخيالية التي يختلط فيها  
المدهبان الرمزي والتعبيري اختلاطاً جميلاً بارعاً .

ومن أهم هذه المسرحيات : « الطاعون الأبيض »  
و « القوة والمجد » ثم هذه المسرحية : « الأم » التي ظهرت  
سنة ١٩٣٩ - أي بعد وفاة المؤلف في ديسمبر سنة ١٩٣٨ ...  
والتي ناقش فيها بطريقته الخيالية التعبيرية الرائعة فكرة الحرب  
والسلم ، ومتى تغلب إحداهما على الأخرى .

#### خلاصة المسرحية :

ها نحن أولاء في هذا المنزل العظيم الحزين منزل البطولة  
والأبطال .. وها نحن نرى ثلاثة من أبناء رجل توفى منذ  
سبع عشرة سنة في معركة حربية بسبب خطأ قائده قصير  
النظر الذي أصدر إلى الرجل - أو الوالد ريتشارد - أمراً  
بالاستيلاء على أحد المعاقل دون أن يكون له ما يحميه من  
نيران العدو .. فإذا أبدى الرجل هذه الملاحظة تمخزه قائده  
بأنه - ولا بد - يشعر بشيء من القشعريرة تسرى في  
رجليه - فلا يملك الرجل إلا أن ينفذ أمر القائد الجاهل ..  
وهكذا يقضى على ريتشارد ، وعلى جميع من معه من الجنود ..  
ها نحن إذن نرى ثلاثة من أبناء هذا الأب الضابط

البطل .. وقد جلس منهم اثنان : بيتر وكريستوفر ، يلعبان الشطرنج ... تلك اللعبة الأبدية الخالدة التي لا هم لمن يلعبانها إلا أن يقضى أحدهما على الآخر .. سواء كان الذي يقوم باللعب فرداً .. أو فردين .. أو أمة أو أمتين .. أو مجموعتين من الأمم .. فالنتيجة واحدة .. القضاء على أحد الجانبين .. وإن لم يخرج الجانب الآخر سليماً من المعركة .

أما الأخ الآخر : توفى ... وهو أصغر أبناء هذه الأسرة ، فبراه مستغرقاً في قراءة كتاب ما ... لكنه يفوق من قراءته على شجار ينشب بين أخويه اللذين اختلفا على حل لعبة من اللعب كان أحدهما يذكر الطريقة التي يلعبها بها أبوه .. بينما بدأ للأخ الثاني أن من الممكن .. بل الأصح .. أن تلعب بطريقة أخرى .. ومن هنا ينشب النزاع الذي يتطور فينقلب إلى معركة يختلط فيها نظام الحجرة وينقلب أثنائها رأساً على عقب .

وتدخل الأم دولوريس .. لتنهر الشابين ... ولتعيد الحجرة إلى نظامها .. ويخرج بيتر وكريستوفر ومعهما بندقيّة ليدخلها في مباراة لإصابة الهدف .. كما يخرج توفى الصغير حتى تنتهي الأم من مهمتها .. ولا تكاد الأم تخلو إلى نفسها في الحجرة ، وقد فرغت من إعادة النظام إليها حتى تغلق النوافذ ، وحتى يسود الغرفة شيء من الظلام بسبب ذلك .. وهنا .. نرى طيفاً شفافاً يبرز أمامنا من أحد

أركان الغرفة .. فإذا هو روح الزوج المتوفى منذ سبع  
عشرة سنة .. يقف خلف زوجته - هذه الأم - وهي  
تنظر إلى صورة زوجها المعلقة فوق الحائط نظرة العائبة  
اللائمة ، وهي تتحدث إليها وتقول : إنها لا تحب أن يجتذب  
الأب أبناءه إليه حتى لا يشبوا على ما شب هو عليه ...  
من هذا الإقدام الأعمى ، فإذا الأب .. أى الروح يتقدم  
متمهلاً نحو الأم ليقول لها : إنه لا يجتذبهم إليه ، وإنما الذى  
يجتذبهم هو هذه التذكارات التى تملأ جوارب الغرفة ...  
فماذا لا تخفيها الأم عن أعينهم ؟

وتستدير الأم لتكلم روح زوجها غير مشدوهة  
ولا مأخوذة ... كالتى تعودت أن تلقى تلك الروح ومرنت  
على زيارتها لها .. وتدور بينهما مناقشة يتحدث فيها الأب  
عن الدور الذى قام به فى قتال ثوزة الأهالى ... وأنه لم  
يمت مينة الأبطال قط .. بل مات بسبب جهل قائده ونزقه ،  
ثم بسبب هذا الجرح الذى أخذ بسببه أسيراً ، فأذاقه أسروه  
الموان وتركوا جرحه يتزف حتى مات .. وهذا بخلاف  
ما ادعته النشرة الرسمية التى وصفته بالبطولة ، وهو يؤدى  
واجبه فى المعركة !

وتتطور المناقشة فتذكر الأم ما عانته فى سبيل تربية  
أولادها الخمسة ، وحرصها على ألا يشبوا جنوداً كما كان  
أبوهم ، بالرغم من أن كونهم أبناء ضابط قتل فى الحرب

كان يحولهم الحق في التربية بالأكاديمية الحربية فيوفروا  
عليها المصروفات في الكليات الأخرى ... ولكن هذا لم  
يجردهم من روح الاعتزاز ببطولة أبيهم وحرصهم على أن  
يشبوا على ما شب هو عليه .. فهذا ابنه الأكبر أندرو الذي  
درس الطب وتخرج في أعظم كلياته يتطوع لمحاربة الحمى  
الصفراء في بلاد نائية .. حيث يهلك هناك .. ويهلك لأنه  
تطوع لأن تنتقل إليه عدوى هذا المرض الخبيث لكي يسجل  
أعراضه فيه إذ هو طبيب يستطيع أن يعرف من التجربة  
مالا يعرفه غيره ... فتكون النتيجة أن يقضى عليه .

وهنا .. نرى طيف أندرو .. أندرو والطبيب .. يبرز  
من أحد أركان الغرفة المعتمة ، حينما تقول الأم إنه ذهب  
إلى تلك البلاد الموبوءة دون أن يصيخ إلى رجاء أمه في  
الآ يفعل ... ذهب إليها متلصصا كما يفعل اللصوص في  
حلك الليل . إنه يبرز في حلة طبيب ليقول لأمه : إنه قد  
شرح لها الأسباب التي كانت تلزمه بهذا السفر للقيام  
بواجبه المقدس نحو إخوته البشر المنكوبين .. فإذا كان  
لم يصخ لرجاء أمه مضحياً بشيء من محبتها ، فإنه فعل ذلك  
في سبيل واجب أسمى .. وينضم الأب إلى ابنه أندرو  
مؤيداً موافقاً على كل ما حدث ، ولا سيما بعد أن يعرف  
سبب وفاة ابنه ، وأنها كانت وفاة مقصودة أقدم عليها  
أندرو بشجاعة وإقدام ، وهو يعرف أنه لن يفلت

منها ، وحتى لو لم تنته التجربة إلى شيء .  
 وعند ذلك تسمع طلقات نارية في الحديقة ، وتقول  
 الأم إن بيتر وكريستوفر في مباراة لإصابة الهدف .. فيهب  
 الأب ، ويضطرب أندرو .. وتثور الأم .. لأنها لن تسمح  
 لأولادها الباقين بهذه الروح العسكرية التي لقيت منها  
 الأمرين ... وتقول إن بيتر وكريستوفر - وهما توأمان ولدا  
 معاً - لا ينفكان عن النزاع والمشاجرة ولا يكاد أحدهما  
 يرى رأياً حتى يخالفه أخوه ، ويشتد في الإنكار عليه ...  
 ثم تحدث مفاجأة عجيبة ... إن روحاً ثالثة تبرز من  
 أحد أركان الغرفة .. وإذا هي روح الابن الثاني جورج ..  
 الذي التحق بسلاح الطيران ووقع عليه الاختيار بتجربة  
 في الطيران المرتفع لضرب الرقم القياسي في هذه الناحية .  
 ويرحب الأب ويرحب أندرو بروح جورج ..  
 وتستدير الأم لترحب بابنها جورج الذي لم تكن تعلم أنه  
 سقط بطائرته ولم يعد حياً بعد .. فإذا عرفت الحقيقة  
 زلزلت زلزالا شديداً ، وملاً قلبها ألم .. وأنشأت تجادل  
 جورج فيما دفعه إلى تلك التضحية ... لكن حزنها  
 يتغلب عليها ويملك زمامها فتسقط في أحد الكراسي  
 لتنشج نشيجاً طويلاً مكتوماً ... على أن الحديث يتصل ،  
 ويثنى الأب وأندرو على شجاعة جورج ..  
 وتفريق الأم .. ويواسيها الأب وأندرو وجورج ، ويطلبون

إليها أن تتمالك وأن تكون أما عظيمة يفخر بها أبناؤها...  
ويسمع طرق بالباب فتتلاشى الأطياف الثلاثة ..  
ثم يدخل كرسطور فيوقد النور ويقول لأمه إنه سمع أنباء  
مزعجة .. لقد أصيب جورج في حادث طيران ... ولكن  
« لا تنزعجى يا أماه .. أغلب الظن أنك سمعت النبأ ! »

فإذا كان الفصل الثاني رأينا الأخوين كرسطور والصغير  
توفى يتجادلان في موقف أخيهما بيتر الذى انضم إلى الحزب  
الأحمر ؛ بينما انضم كرسطور إلى الحزب الأبيض في تلك الفتنة  
التي فرقت كلمة الأمة وقسمتها إلى ذينك الحزبين المتحاربين .  
فإذا دافع توفى عن موقف أخيه بيتر ثار عليه كرسطور وعبره  
بأن أمه قد نشأته تنشئة مدللة كلها عطف وكلها ميوعة ثم  
أخذ يدلى برأيه في الحمر قائلا :

كرستوفر : لقد كانت آراؤه في مصلحة الوطن آراء  
خاطئة من أساسها .. لقد وهم أن من  
الممكن أن تحمكنا حفنة من السوق  
الأندال . ماذا يكون مصيرنا لو تم لهم  
ما أرادوا ؟ لقد كشفوا عن معدنهم  
ونواياهم ومبلغ كفايتهم بما أقدموا عليه  
من نهب وسلب وانتقام بدافع من حزازاتهم  
القديمة . لو تم لهم ما أرادوا لانهار بناء

الوطن ، وضاع كل شيء .  
توفى : ولكن بيتر كان حازماً كل الحزم ووضع  
حداً للسلب والنهب .

كرستوفر : هذه هي الغباوة المطلقة . لقد كان يرجو  
أن يؤولف حكومة من هؤلاء الرعاع تتولى  
أمور البلد . ونحن لن نسمح بهذا أبداً .

توفى : ومن تغنى بقولك : نحن ؟

كرستوفر : فريقنا .. إننا الأمة .. إن هذه الطغمة لو  
حكمت البلاد بعقليتها المريضة وآرائها  
الفاسدة عن السلام وعن التصالح السلمى  
والمساواة لانهار بناء الوطن .. ولضاع كل  
شيء .. .

إذن فهي الحزبية العمياء التي فرقت كلمة الأمة وجعلتها  
شبيهاً متحاربة ، وانتشرت في العائلات فأصبح هذا الأخ أحمر  
بيننا هذا الأخ أبيض .. وكل منهما عدو لأخيه ... ويذهل  
توفى الصغير ، حينما يخبره كرسطوفر أن أحاهما بيتر مقبوض  
عليه الآن وهو رهينة من الرهائن ... فإذا عاد الحمر إلى  
إطلاق النار فقد يقتل بيتر .. والحرب هي الحرب !

ويثور توفى الصغير ، ويغضب لموقف أخيه كرسطوفر  
الذى يوشك أن يخرج ليأخذ مكانه بين محاربي حزبه .  
ولكن الأم تدخل فتسأله عن بيتر الذى سبق أن أخبرها أنهم

مطلقو سراحه في المساء .. فأين هو ؟ إنها تكاد تم بانخروج  
لتبحث عن بيتر وسط الرصاص والقنابل وغبار المعركة ..  
لكن كرسنوفر ينصحها بعدم الخروج وإلا أطلقوا عليها النار ..  
وهنا تطلب من توفى أن يتركها وحدهما فينسرق توفى ...  
وعند ذلك يحاول كرسنوفر أن يقنع الأم بغلطة بيتر في ثقته  
بالناس وهو مغمض العينين .. وأن هذه الثقة الحمقاء هي  
التي جرت عليه ما جرت من تلك البلايا .

وينهض كرسنوفر ليتناول بندقيته ويشرع في تنظيفها ...  
ثم ينطلق من الحجارة دون أن يصيخ إلى توسلات أمه .

وعند ذلك يظهر طيف بيتر ! أجل ! طيف بيتر !  
فلقد أصبح بيتر طيفاً هو أيضاً .. روحاً ..

وتفرح به أمه أيما فرح ، لأنها كانت تحسبه قد عاد  
سليماً معاف بعد أن أطلق البيض سراحه ... وتحاول الأم  
أن تضيء المصباح فيرجوها بيتر ألا تفعل ... ولا يزال  
بها حتى يصارحها بأنهم رموه بالرصاص .. منذ أمد  
بعيد جداً .. منذ نصف ساعة ! !

وتقع الأم مغشياً عليها من هول الصدمة فيستغيث  
بيتر .. وهنا يبدو طيف أندرو ... الدكتور أندرو ! ...  
كما يظهر طيف الأب ريتشارد ... ويظهر بعده طيف  
جورج !

بيتر وأندرو وجورج والأب ... لقد أصبحوا جميعاً

أشباحاً ... وهامم واقفون في الحجرة الكتيبة أمامنا  
يعنون بالأم ويتحاورون فيما حدث كله ... ويسعف  
الدكتور أندرو أمه .. ثم يتركها راقدة ويبدأون حديثاً  
طويلاً فيصنف كل منهم الطريقة التي مات بها .. ونسمع  
منهم العجائب التي يختمها الأب بقوله : أعلم أنكم جميعاً  
قد ضحيتُم بحياتكم في سبيل أمر عظيم .. أندرو في سبيل  
العلم ، وجورج في سبيل تقدم الطيران ... أما أنت  
يا بيتر .. ففي سبيل أي شيء ضحيت بحياتك ؟

وبجيبه بيتر : في سبيل الحرية والمساواة يا أبي !  
ويقول الوالد : آه ! أما أنا ... فقد مت في سبيل  
الوطن وشرف الكتيبة ... أو ... لأن القائد أصدر تعليمات  
خاطئة ! .. ولكن لا علينا من ذلك كله ... لأنها جميعاً  
أعمال عظيمة تستحق أن نضحى بالحياة في سبيلها .

وبينما هم في حديثهم ذاك إذا صوت المذيع في الراديو  
وهو صوت كرستوفر نفسه ... يقول بأن القائد العام يأمر  
الحمر للمرة الأخيرة بإلقاء السلاح ، ووقف هذه المذابح  
المنكرة في ظرف خمس دقائق .. فإذا لم يصدعوا بهذا  
الأمر فسأمر بضرب المدينة وتدميرها على رؤسهم .

وهنا يثور بيتر - أي روح بيتر التي كانت تتلهى  
بالشطرنج في تلك اللحظة تحاول حل مشكلة من المشكلات ..  
ويرى البيض بأنهم أوغاد متوحشون سفاحون ... ثم يهتف

بالحمر ألا يستمعوا إليه ... إلى كرسطوفر أخيه ! ... وأن  
يصبروا ويصابروا حتى يتم النصر لقضية الحرية والمساواة  
ويزول الطغيان !

وتنفضى الدقائق الخمس فيأنى صوت المدبغ ينصح  
الأهالى بالنزول إلى بدرومات المنازل لأن الضرب سيبتدىئ  
وعند ذلك تستيقظ الأم فهتف بأبنائها .. أبنائها  
الأشباح هؤلاء .. ثم تسأل توفى الذى يدخل فى تلك اللحظة  
فتتلاشى الأرواح ... حتى إذا أضاء المصباح وسألت أمه  
عن بيتر أجابها بأنه لم يعد بعد ( ا ) ثم يتناول مسدساً  
فتسأله عن السبب ، فيداور فى إجابته .. فلذا سألته عن  
كرستوفر أجبرها أنه أخذ بندقيته وخرج لأن الواجب كان  
يتم عليه ذلك . « فلا تغضبى يا أمى ! »

...

وفى الفصل الثالث لا يكون باقيا على قيد الحياة من  
الأبناء الخمسة غير توفى الذى لم يتم السابعة عشرة من عمره  
بعد .. وهانحن أولاء ، نسمع صوت المذبحة داعية جميع  
المواطنين إلى حمل السلاح دفاعاً عن الوطن ، قائلة إن  
العدو انتهز فرصة الحرب الأهلية التى ابتليت بها البلاد  
وهجم بجيوشه بفتح أرض الوطن .. وأن هذا النداء يذاع  
بجميع لغات العالم يستنهض المهتم للدفاع عن قضية الحرية  
فى مشارق الدنيا ومغاربها .

وتثور النخوة في قلب توفى ويحمل سلاحه ثم يهجم  
بالخروج فتحول أمه بينه وبين ذلك ، إنه أملها الوحيد  
الذى بقى لها في هذا الوجود .. وهى لن تسمح له مطلقاً  
بالاشتراك في تلك المعركة لهذا السبب ، ولأنه صغير  
لايستطيع أن يتحمل أعباء الحرب .. ثم حسبها أنها قدمت  
للوطن أربعة من فلذات كبدها .

ولا تزال الأم تلح على ابنها وتجادله وتقنعه حتى يلين  
آخر الأمر ، ثم تأخذه وتغادر الغرفة لتخبئه عن أعين العالم  
جميعاً .. فإذا خرجت ، وتكون قد أطفأت الأنوار ...  
سمعنا صوت أندرو .. الدكتور أندرو .. أو روح الدكتور  
أندرو .. تقول : مسكينة أنت أيتها الأم ! وبجيبه الأب  
أعنى روح الأب ! بل المسكين هو توفى !  
ونسلم صوت كرستوفر يقول : إنه في منتهى التعاسة  
لاشك في ذلك !

ثم تمضى فترة . فنسمع صوت الطبول ووقع أقدام  
الجنود ، وهم يسرون إلى الميدان .  
ثم تنجاب بعض الظلمة فنتبين أشباح الأب وأبنائه الذين  
ماتوا وهم يتابعون أخبار الحرب من صوت المدباع .. حتى  
إذا سمعوا وقع أقدام في الخارج طلب الأب من ابنه جورج  
أن يغلّق الراديو ... ثم إذا الأم تدخل الحجر وتدير  
مفتاح النور ... وإذا نحن نرى هذه الأرواح كلها وبينها

روح غريبة ... روح لم نرها من قبل ... فإذا هي روح  
الجد العجوز الذى تنتمى إليه تلك الأسرة كلها !

ويدور حديث حول هذه الحرب ... ويدور نقاش بين  
روح بيتر وروح كرسطوفر اللذين رأيناها من قبل يتخاصمان  
فى الدنيا ، بل يقتتلان فيها فإذا هما لا يزالان عند موقفهما  
ذاك ... وكل يحجد رأيه .. ويدعى أن حزبه كان أنفع  
للوطن من الحزب الآخر !

فإذا أنكرت الأم نحمتس أبنائها ونحمتس جدتهم وأبيهم لهذه  
الحرب المهاكّة جادلوها جميعاً ، ودافعوا عن الحرب فى سبيل الوطن  
دفاعاً حاراً له ما يبرره . وزعموا أنهم هم أنفسهم بالرغم من أنهم  
موتى يجب أن يشتركوا فى تلك الحرب ، وأن ينضم كل منهم  
إلى فرقته ، ويقوم كل منهم بواجبه . فإذا سأل الأب عن ولده  
توفى أين هو؟ فزعت الأم وأصرت على أنه صغير ولن يشترك فى  
الحرب ولكن الأرواح جميعاً تأسف لموقف الأم التى تحاول أن  
تسئ إلى أجداد تلك الأسرة ومفاخرها القديمة وما جعلته فى  
صحيفة الخلود من دفاعها عن الوطن .

« ثم ماذا يكون موقف توفى حيال نفسه إذا أذكرك  
يوماً أنه بخل بدمه على بلاده التى نادته فلم يستمع لندائهما ؟  
ماذا يكون شعوره ؟ إنه ولا بد سيحيا مجللاً بالعار  
والخزى إذا فعل ! »

ونحيتهم الأم المهزونة بأنهم ليسوا أمهات .. وبأنهم

لم يدوقوا الشكل مثلها .. وإلا كانوا قمينين بأن يرحموها ..  
ويتركوا لها ولداً ... ولداً واحداً من أبنائها الخمسة الذين  
طوأم الموت !

ثم يأتي صوت مذيعة من الخارج في مكبر للصوت  
تقول إن « العدو أطلق أحد طوربيداته على سفينة التدريب  
« جورجون » وعلى ظهرها أربعمائة طالب يتمرنون وأن  
السفينة تفرق الآن بجميع من عليها من هذا الشباب ...  
يحيا الوطن ! »

وتفزع الأم ، وينخلع قلبها لقتل هذا العدد الكبير  
من الشباب الغض ... ثم نسمع طرقاتاً على الباب فتتلاشى  
الأرواح ... ثم إذا القادم توفى ... ويسألها توفى عن كان  
هناك .. ومع من كانت تتحدث ؟ لكنها تقول إن أحداً لم  
يكن معها .. وأن الأصوات التي سمعها لم تكن شيئاً غير  
الإذاعة ...

ثم لا يلبث أن يأتي صوت الإذاعة من مكبر الصوت  
بالخارج معلناً أن « طائرات الأعداء قد أغارت اليوم علي  
إحدى مدننا ، وكان عدد الضحايا أكثر من ثمانمائة من  
الأهالي معظمهم من الأطفال والنساء .. وأنهم دمروا  
مستشفى المدينة فقتل ستون من المرضى .

وهنا يتوسل توفى إلى أمه بأن تأذن له في أن يحمل  
سلاحه لينتقم من أعداء وطنه ... وقبل أن تتكلم أمه

يعود المذبح فيقول إن طائرات العدو أغارت على قرية  
بورجو وألقت قنابلها على مدرسة القرية فلما أسرع أطفالها  
بالحرب طلباً للنجاة إذا بمدافع الطائرات الرشاشة تحصدهم  
حصداً ، وإذا بأشلاء الكثيرين منهم تتطاير في الهواء ...  
ولا تكاد الأم تسمع ذلك حتى تدهل قائلة : أطفال ...  
أطفال كأبنائي ... توفي ! هلم يا بني .. احمل سلاحك ..  
وبادر إلى المعركة ! اذهب ... عجل ! !  
( وتنزل الستار )

وهذه هي مسرحية الأم ... المسرحية الخالدة ...  
وآخر ما كتب تشابك العظيم ... فأى درس ، بل دروس ،  
نستخلص منها :  
هل هي دعوة إلى السلام كما وهم بعض نقادها .. أم  
هي صيحة إلى الدفاع عن الوطن بخوض غمار الحرب ما دام  
العدو سفاحاً لا يرحم ، ووحشاً لا يكف عن شرب الدماء !  
إن الأم التي حزنت على أبنائها الأربعة كل هذا الحزن  
وعلى زوجها من قبل ، وطالما عارضت فكرة الحرب  
وأنكرتها .. لم تملك إلا أن تدفع إلى أتون المعركة بولدها  
الخامس الذي كان لها كل شيء ، والذي طالما حاولت أن  
تثني عزيمة عن الذهاب إليها رحمة بها ... فلماذا ؟ ...  
لماذا تغير موقفها هكذا بعد أن صكت أذنيها وحشية

المتوحشين وضراوة المستعمرين ، وقتلهم هؤلاء النساء  
والمرضى وأطفال المدرسة !!

إن الذين لا يفهمون كيف يكون الدفاع عن حومة  
الوطن حريون بأن يقرأوا تلك المسرحية . . وأن يشهدوها  
من إخراج مخرج عظيم يفهمها .

والذين لا يباليون بشق عصا الوحدة وتمزيق أوصال  
الشعب بالتحزب الأعمى والحزبية الحمقاء خليقون بأن يتلقوا  
درساً من هذه المسرحية .

يا لها من تمثيلية مليئة بالعظات والعبر .. وبالفن الرائع  
أيضاً بالرغم من جوها السادر الحزين .

ولعل القارئ يستطيع أن يستخلص من هذا العرض  
السريع ، وبعد أن يقرأ المسرحية الأصلية ما هي المسرحية  
الخيالية أو الـ *Fantastic play* وألا يخلط بينها وبين  
مسرحية فيها بعض الأشباح أو الأرواح مثل هاملت أو  
ماكبث أو مسرحيات سنكا . . . إذ الأشباح في تلك  
المسرحيات تكون شيئاً جانبيّاً أو جزئياً .. بينما يغلب الجو  
الخيالي على المسرحية الخيالية غلبة شديدة .

ثم لعل القارئ أيضاً يستطيع أن يستنتج لنفسه معالم  
المذهب التعبيري الذي يتجرد فيه البطل أو الأبطال من  
كيانهم المادى تقريباً ، ويصبحون أرواحاً خالصة تكشف لنا  
عن حقيقة الشخصية وفطرتها التي فطرها الله عليها حينما لم تعد

تبلى بما يزدحم به هذا العالم القانى من نفاق ورياء وأطماع ...  
ولعله يدرك الآن أن وقوع البطل فى أزمة روحية ضرورة  
من ضرورات هذا المذهب ... كذلك الأزمة التى وقع  
فيها الأب وهو ينصاع لتنفيذ الأمر الخاطى الذى أصدره  
إليه قائده .. أو الأزمة التى أوقع فيها الطبيب أندرو نفسه  
بدافع الإخلاص للعلم والتضحية فى سبيل كشف أسرار الحمى  
الصفراء .. أو الأزمة التى مر بها جورج وهو فى أجواز  
الفضاء .. أو الأزمة التى اكتسحت بينر وكريستوفر وهما  
يختصمان أمام رقعة الشطرنج وفى ميدان الخزبية الأعمى والتى  
لزمهما بعد الموت أيضاً ... أو الأزمة التى اجتاحت توفى  
الصغير ودفعت به إلى المعركة .. أو الأزمة التى انتابت الأم  
فنهبت من موقفها وعلمتها التضحية بكل شيء ... حتى  
بتوفى نفسه .

أما المذهب الرمزي ، ففي المسرحية منه لفتات رائعة ..  
أولها تلك المباراة فى الشطرنج بين بينر وبين كريستوفر ..  
مباراة الشطرنج التى يخوض البشر جميعاً ميدانها ثم تنتهى  
بفناء الجميع آخر الأمر ، وإلقاء القطع فى صندوقها  
الخشبي .. تماماً كما تتلقفنا القبور حينما ينتهى الأجل ...  
مباراة الشطرنج التى رأينا بينر يعود إليها فى الفصل الثالث  
وهو روح خالصة وشبح من الأشباح ... والتى يعود إليها  
الأب حينما يقسال له إن كريستوفر كانت له فيها فكرة

جديدة .. فهو يريد أن يدرسها ويعرفها ... حتى بعد  
الموت !

ومن لفئات المذهب الرمزي في المسرحية أيضاً ذلك  
الشعر الذي كان ينظمه توفى .. الفنى الحالم المنطوى ..  
الذى دعاه داعى الوطن في النهاية فلباه وسعى إليه .  
ثم هذه الفاتنة المجهولة التي كان يحلم بها توفى ..  
من هي .. وما هي ؟

ثم تقسيم قطع الشطرنج إلى احمر وبيض ، والربط بين  
هذا ، وبين ما في نفس كركستوفر ونفس بيتر .

ثم تغير الوضع في رقعة الشطرنج ، وتغير الوضع في آخر  
المسرحية ، حينما وقفت رحى الحرب الأهلية ، وتكتلت الأمة  
كلها بحزبها لمواجهة العدو الخارجى !

ثم هذه المعركة بين التوأمين ، والتي قلبت الغرفة رأساً  
على عقب ، وما ترمز إليه من المعركة بين البيض والاحمر  
وزقلبها البلاد رأساً على عقب أيضاً .

وبين ذلك كله وبين المعركة بين القديم والجديد التي  
أشار إليها بيتر في الفصل الأول صلوات رمزية قوية .

ثم المباراة بين بيتر وكركستوفر بعد المشاجرة .. وأول دم  
يسيل في صورة تمثيلية صرفة ، لا يلبث أن يصبح دماً حقيقياً  
في معركة حقيقية !

تم سؤال الأم ولدها بيتر لماذا يحاول دائماً أن يحطم شيئاً ما ؟

وسؤالها توفى : إنه دائم التفكير في البلاد السحيقة النائية ، ولن يعود عليه هذا بأى نفع ... وإنه لن يقوم بأى رحلة طويلة ... ثم رد توفى عليها بقوله : إنه من الجائز ألا يفعل .. لكنه يستطيع أن يتخيل ما تكون عليه الحياة هناك ... فإذا سألته أمه : « أين » أجابها إنه لا يعرف على وجه التحقيق ، لكنه يستطيع أن يرى بعين الخيال سهلاً فسيحاً تكسوه الأعشاب ، وأن يرى فيه فجأة سرباً من الطيلاء ... إنه يعجب كيف يستحل الإنسان قتل حيوان برصاص البنادق .

ألا ما أعجب الرموز اللطيفة الخفيفة الشعرية في المسرحية كلها !

ثم هذه الأرواح التي تزدحم بها المسرحية .. أكانت تعود من العالم الثاني حقاً ... أم كانت تبرز من نفس الأم ومن هواجس قلبها ، ومن ثمة كانت المسرحية كلها تجري من تلك الهواجس ؟

دريفي خشبه



شخصيات المسرحية

الأم . الأب  
أندرو . جورج  
كريستوفر . بيتر  
توف . ابي العجوز

صوت رجل في كنج المسرح  
صوت امرأة في كنج المسرح



## الفصل الأول

حجرة الأب ، النوازل مفتوحة تماماً وقد  
علقت حل الحائط الرئيسى لوحة تمثل الأب فى  
لباس ضابط بالجيش وعن يمينها ويسارها علقت  
السيوف المختلفة الأنواع ، والمسدسات ،  
والبنادق ، والفلايين التركية ، وشتى التحف  
والطرائف التذكارية المأهولة من المستعمرات عقب  
الغزوات والحملات العسكرية عليها ، كالحراب ،

والدروع ، والقسي والسهام ، والخناجر ، وقرون الطيباء ، وسهام الرعول  
وما إلى ذلك مما يحتفظ به حل سبيل الذكر من مقام الصيد والقتل ، بينها  
غصت الجدران الأخرى بمزونات الكتب ، والخزانات الخشبية ذات النقوش  
المحفورة ، ورف يحتوى حل مجموعة من البنادق المسقولة اللامعة والسجاد  
- الشرق والخزائن - وجلود الحيوانات . وغلاصة القول أن الرفقة تلمس  
بمقتنيات الفتوة والرجولة ، وبها منضدة متينة للكتابة صفت فوقها المعاجم  
وكرة جغرافية الأرض وبعض الفلايين ومثقلات الأوراق المصنوعة من رصاص  
البنادق والمدافع إلى جانب حقائق لحفظ التبغ وما إلى ذلك من مقتنيات الرجال

ولوازمهم ، وبالحجارة أيضاً أريكة ذات وسائل تركية ، وبمض الكراسى الكبيرة (فوتيلات) الرثة الهيئة ، والمقاعد الصغيرة المستديرة بالإضافة إلى منضدة صلبة حربية الطراز ، وضعت فوقها رقعة شطرنج ، وأخرى وضع فوقها حاكني سهل الحمل (جرامفون) وكان بأعلى الخزانة قبعات حربية وعوذات . وانتشرت هنا وهناك القماطيل المملوكة من شتى البلاد ، والمنحوتات الفنية وأقنعة الزنوج ، وبأ إلى ذلك مما اعتاد الناس أن يأثروا به من رحلاتهم في الخارج ومن المستعمرات على سبيل الذكرى ، علن أكل شيء في الحجرة يبدو للتأمل من أول وهلة حقيقاً بالياً قد أكل عليه الدهر وشرب ، فنظر الحجرة بوجه عام أقرب إلى متحف خاص منه إلى حجرة جلوس .

ورى توفى متربهاً على الأريكة ، وذقنه بين ركبتيه وعلى عقبه كتاب كبير الحجم اتخذ منه شبه مكتب للورقة الموضوعة فوقه ، والتي كان يكتب فيها وهو يتلو ما كتبه همساً بينما راح يحرك يده تمثيلاً مع الأوزان الشعرية ، وينز رأسه ثم يزيل شيئاً مما كتبه ويظل يختبر ما كتبه في سكون ليتأكد من صحة الأوزان .

[ يدخل بيتر وهو يصفر ]

بيتر : أهلاً توفى فيم أنت منهمك ؟

[ يسير عن غير قصد نحو منضدة الكتابة ويصفر إحدى النفايات بينما كان يدير نموذجاً للكرة الأرضية ]

توفى : ماذا .. ؟

بيتر : أنتنظم شعراً . . ؟

توفى : طبعاً لا [ يمس الورقة بين صفحات الكتاب ]

وأى شأن لك بهذا على كل حال ؟

بيتر : لا شيء [ يدرس يديه في جيوبه ويستمر في صغيره  
وعو ينظر إلى توني ] هيا ، دعني ألقى نظرة  
عليها .

توني : [ معظماً بالقرائة ] كف عن هذا الإلحاح ،  
ليس معي شيء بتاتاً .

بيتر : هراء [ ويشد شعر توني ] ليكن . احتفظ بها لنفسك  
أيها الصبي [ يسير متمهلاً إلى مائدة الكتابة ويحشو  
غليونه بالصبغ من أحد الأضواء ] يخيل لي أنه ليس  
لديك شيء أفضل من هذا تشغل نفسك به  
هيه .. ؟

[ يفتح أحد الأدراج ]

توني : ما هذا الذي تظن أنك تفعله ؟

بيتر : أوه أتسكع يا توني لا أكثر ولا أقل [ يأخذ  
من أحد الأدراج كتاباً طويت أطراف بعض أوراقه  
ويقلب صفحاته ] . . .

بمجرد التسكع الجامح لقتل الوقت . إن  
ساعتى لم يحن موعدها بعد كما ترى .  
[ يسير إلى المائدة حاملاً رقعة الشطرنج ] .  
اسمع يا توني إن والدنا شرع في حل هذه

المسألة الشطرنجية ، ولكن يبدو أن الوقت لم يتسع أمامه للانتهاء منها . وأنا أود أن أعالجها أحياناً ، لأرى ما إذا كنت أوفق إلى حلها .

[ يصف بعض قطع الشطرنج البيضاء والسوداء فوق الرقعة ، ثم يأخذ في مقارنة مواضعها مع الرسم الذي في الكتاب ، بينما يصغر لنفسه بصوت خافت إحدى التلمات ] .

توفى : [ في تردد ] لدى شيء أود أن أسألك عنه يا بيتر .

بيتر : [ شارد الذهن ] هيه . . ؟

توفى : إنه يتعلق بجورج

بيتر : وما الذي ينتظر مني أن أعرف عنه . . ؟

توفى : أليس يحاول اليوم أن يحرز رقماً قياسياً . . ؟

بيتر : ما الذي يدفع بك إلى هذا الظن . . ؟

توفى : طلب إلى بالأمس مساءً أن أذكره اليوم

وأن أدعو له بالنجاح ؛ لأنه سيقوم بمحاولة

أمر ما ، أظنه قال في نحو الساعة الثالثة

بيتر : في نحو الساعة الثالثة . . [ ينظر في ساعته ]

لقد أوشكت الساعة على الثالثة الآن ، إنه لم

يذكر لنا شيئاً عن هذا الأمر بتاتاً .

[ يستمر في وضع قطع الشطرنج على الرقعة وهو  
يراسل صديقه الخاتمت لنفسه ]

أظن أنه كان يرغب في كتمان الأمر عن  
أمننا ، فهو تجزع كلما طار جورج ، ولكن  
أيا كان الأمر فلا تذكر شيئاً عن طيرانه  
أمامها .

[ ينظر في الكتاب أولاً ثم إلى رقعة الشطرنج ]  
د... د لقد وضع والدنا علامة هنا أمام  
د كمنقطة للبداية ، هي حركته الأولى .  
[ ولكن لست أدري يا توني ] وأراني لا أكف  
عن التفكير في أن والدنا كان يشعر  
بشيء من الملل أثناء إقامته بالمستعمرات ،  
وهذا في رأيي سبب اعتياده حل المسائل  
الشطرنجية قتلاً للوقت .

توني : وهل تشعر بالملل أنت أيضاً ؟  
بيتر : لفظة الملل أقصر من أن تعبر عما أشعر  
به ، إن العصر الذي نعيش فيه لا بد وأن  
يكون أكثر العصور التي مرت بالإنسان  
فتوراً وسأمًا .

[ وهو يدير وجهه نحو توني ]  
ولكن اسمع يا توني ، كف عن هذا الجبث  
وأرني القصيدة . .

الجدل .. وإلا فإنكما سوف تتفانلان  
مرة أخرى لا محالة .

بيتر : [ وهو يجلس إلى رزمة الشطرنج ] لا ، لن نقشاج .  
يا عزيزي . فأنا من جانبي لا أفكر في شيء من  
هذا ، من ذا الذي يعنى بمثل هذه الملاحظات  
الغثة ، من هذا المشاغب الضيق الأفق الرجعي ؟  
ولكن ماذا يمكن أن ينتظر منه .. ؟ لقد  
ولد قبلي بنصف ساعة ، وهذه الفترة من  
الزمن يا بني ، هي البون الشاسع بين جيل  
وآخر . ولكن قافلة الزمن دائبة السير ،  
وما من شيء يستطيع أن يعوق مسيرها .  
لقد ظهر على مسرح الحوادث جيل جديد  
أصغر سنًا من الجيل السابق بنصف ساعة  
[ يهرك بيدما ] د .. د .. ما لم أكن قد أخطأت  
فإنه ليس في التضحية بهذه القطعة من  
نفع يرجى كما توهم والذي .  
[ يعيد البيدق إلى مكانه الأول ]

كرستوفر : ألا تطلعي على قصيدتك يا توني .. ؟  
توني : يجب أن أنقحها بعض الشيء قبل أن  
أطلعك عليها .  
كرستوفر : [ وهو يمسح أصابعه بالخرقة ] دعها كما هي ،

توفى : إذن لابد أن تكون قد أدركت من  
عنت بالفاتنة المجهولة .

بيتر : لعلك تعنى المنية .

توفى : إذن لماذا تسأل إذا كنت قد أدركت  
[ يرد إليه الورقة ] ما قصدت إليه ؟

بيتر : عجبت من ذكرك للموت على هذه  
الصورة . فأنت على كل حال ماتزال غلاماً  
يا فاعماً .

كرستوفر : [ وهو ينظف البندقية فوق مائدة الكتابة ] طفولته

هى السبب فى هذا يا عزيزى ، وإنه ليشعر  
بآلام تزايد على مر الأيام . الفاتنة المجهولة ،  
لا تضحكنى ، قتلتنى الله إذا أنا رأيت فى  
الموت شيئاً من فتنة أو جمال ، اللهم .. إلا  
: إلا أن يكون ذلك فى سبيل قضية مجيدة .

بيتر : لافض فوك يا بنى ، لقد أحسنت التعبير .

كرستوفر : فهناك مثلاً خرقة حمراء على سارية ، أترى  
الموت فى سبيلها عملاً مجيداً ؟ أياكون  
كذلك .. ؟ الموت فوق المتاريس — إن  
بيتر لا يستطيع أن يجعل القضية المجيدة  
أرخص من ذلك .. أليس كذلك ؟

توفى : [ فى نبرات تهتك أن تكون باهجة ] كفى عن هذا

توفى : لا تأمل في هذا لسبب واحد ، هو أنها لم  
تم بعد .

بيتر : [ يتجه نحوه ] هيا : لا تكن عنيدا فأنت فتى  
طيب .

توفى : [ يقدم الورقة ] أجل ، ولكنى إذا كنت قد  
أخفقت فيها ، فإنك لن تعفينى من اللوم  
أبدا .

بيتر : [ وهو يتناول الصفحة ] إن كل ما أريده ،  
هو أن أرى ما إذا كان هناك غلطات  
في الهجاء .

[ يقرأ القصيدة لنفسه بالتياء ملحوظ ]

[ يدخل كرستوفر ويديه بندقيه ]

كرستوفر : أنتما هنا ؟ [ يحرك صمام الأمان فيسمع له صوت ]  
لقد اضطررت إلى حل جميع أجزاء هذه  
اللعبينة وتنظيفها ، ولكنها الآن كأحسن ما تكون  
ضبطا .

[ يضع البندقية في إحدى عربون الرف الخاص بالبنادق ]

يجب أن تجربها يوما ما ، ولكن .. ما بكما ؟

ولم أنتما منهيكان أيها الفتيان .. ؟

[ يتناول بندقية أخرى من الرف ويقمص مسبار  
الأمان فيها ]

توفى : [ وهو ينظر إلى إيستر في ضوء من الفلق ] لاشئ  
ذو أهمية .

- پيتر : اسمع ياتونى ، لقد زاد هذ البيت تفعيلتين  
 عن الوزن .
- تونى : أى بيت تعنى ؟ دعنى أرى .
- پيتر : البيت الذى أوله « ولكن أنت أيتها الفاتنة  
 المجهولة ماتزالين تائنين » .
- كرسستوفر : [ وهو ينفخ عل منباز الأمان ] مرحى شعر . . ؟  
 هل تونى غارق فى الأوزان من جديد . . ؟  
 [ يفسح البندقيّة عل المنفعدة ، ويخرج من الدرج شيئاً  
 من الزيت وقطعة قماش من النيل ]
- پيتر : ومن ترى تكون هذه الفاتنة المجهولة  
 تونى : [ يشب محاولاً عطف الورقة منه ]  
 أعطى هذه الورقة ... لانى على يقين  
 من أننى قد شطحت فيها شطحات نائية  
 اقلد بها إلى ، وأنا أحرقتها على الفور .
- پيتر : ولكنى أود أن أعرف حقاً ، لاتموه على  
 ياتونى ، والحق أنى لا أجد ضيراً فى إخبارك  
 بأن القصيدة لا عيب فيها .
- تونى : وهل تعنى حقاً ماتقوله ؟
- پيتر : [ وهو يقرأ لنفسه ] فعلاً ! إن لها فى نفسى  
 وقعاً جميلاً . إنك تبشر بأن تكون  
 سيد الشعراء .

فلذلك كلما حاولت تنقيحها أفسدتها .

توفى : [ يتاوله الورقة ] ولكن لا تسخر مني يا كرسستوفر .

بيتر : [ وهو جالس إلى رقعة الشطرنج ] لا عليك منه .

كرستوفر لا يسخر من شيء أبداً ، كل

ما يعمله هو أن يفحصها بمنتهى الدقة ؛ ليرى

إذا كان فيها ما ينم عن أى ميل شيوعى ،

كالشعر الحمر مثلاً أو المطلق .

توفى : ولكنها ليست من الشعر الحمر الذى لا يتقيد

بالبحور .

بيتر : هذا من حسن حظك ، وإلا أعلن كرسستوفر

على الملأ أنك سخائن لوطنك . فأنت

لا ينبغي لك أن تحاول قلب النظام والأوضاع

القائمة ، دع هذا لى وحدى ، فأنا شيطان

هذه الأسرة ، ماذا لو أنا حررت هذا

الفيل ؟ [ يمز رأسه ] لا ، هذا يُعرى

استحكاماتى الداخلية ويعرضها لهجوم مباشر .

من جانب البيض ، لحظة واحدة . ولكن

أنت أيتها الفاتنة المجهولة تأتين .

توفى : دع كرسستوفر يقرأها .

بيتر : عفواً . كنت أفكر بصوت عال . هذه

بليّة كل ثرثار .

كرستوفر : [ وهو يضع الورقة على المادة ] مريع !

توني : أريدثة هي إلى هذا الحد ؟

كرستوفر : موئم .. بيتر إن هذا الطفل سوف يصبح

شاعراً مفلقاً على الرغم من أن هذه الأسرة  
أسرة ضابط كريم ، نقي السريرة ، طاهر  
الدليل ، حسن السمعة ، ألا تظن أنه يجدر  
بني أن أوسعه ضرباً تأديباً له ؟

توني : [ متها للوجه ] وهل أعجبتك حقاً ؟

كرستوفر : [ يهبت بشعره ] ما زال أمامك الشيء

الكثير من الدرس والتحصيل يا توني ،  
وأنصحك أن تسقط موضوع الموت من  
شعرك ، فليس بالموضوع الذى يليق بمثل  
من كان فى سنك . إذا كنت تريد  
موضوعاً لنظم الشعر ، فلماذا لا تكتب  
عن الحياة ؟..

توني : إذن أنت ترى أن أستمر فى قرص الشعر .

كرستوفر : [ وهو ينظف البندقية من جديد ] أجل لقد علمت

أن لكل عضو فى أسرتنا نزعاً مختلف عن  
نزع أخيه . أحسب أنها لعنة حلت  
بأسرتنا .

- پيتر : أتعلم أن جورج يقوم اليوم بمحاولة لضرب  
 الرقم القياسي ؟
- كرستوفر : [ يتوقف عن تنظيف البندقيّة ] من قال هذا ؟..
- توفى : توفى ، ويقول إنه سمع ذلك من جورج نفسه
- كرستوفر : [ يطل من النافذة ] إن الجو صحو وملائم له  
 فلنسأل الله له السلامة والتوفيق .
- توفى : ترى أى نوع من الطيران يحاول ضرب  
 الرقم القياسي فيه ؟..
- الارتفاع :
- كرستوفر : أيحمل شحنة [ يهز فوق بندقيته مرة أخرى ]
- توفى : لأبد وأن يكون مثيراً للغاية أن تخلق في  
 أجواز الفضاء على مثل هذا الارتفاع الشاهق  
 حيث لا ترى شيئاً سوى زرقة السماء الصافية  
 وحيث تظل تكافح بكل ما أوتيت من  
 قوة في سبيل المزيد من الارتفاع .
- پيتر : أجل ، ولا بد أن تشعر بالبرد القارس ،  
 وخاصة في يديك .
- كرستوفر : أراهنك على ماشئت من جعل ، إن جورج  
 سوف يحطم الرقم القياسي في يوم من  
 الأيام . إنه يحذو حذو والدنا .
- توفى : في ماذا .. ؟

بيتر : [ وهو منكم في حل المسألة الشطرنجية ] في  
الجرأة والإقدام .

كرستوفر : [ وهو ما يزال مشغولاً بتنظيف البندقية ] في  
الشعور بالواجب يا بيتر .

توني : لقد أسعدكما الحظ بمعرفة والدنا على الأقل ،  
ليت الحظ واتاني مثلكما . وهل كان أندرو  
يخلو حلوه أيضاً .

كرستوفر : أجل وهذا هو السبب في رحيله إلى  
المستعمرات .

توني : وماذا عنك أنت ؟

كرستوفر : لأنني أحاول يا توني . أحاول بكل ما أستطيع  
من جهد .

توني : وماذا عن بيتر ؟

كرستوفر : إنه يبدل قصارى جهده ليكون أقلنا  
اقتداءً به .

بيتر : أنا ؟.. إنني يا عزيزي أحاول ما استطعت  
أن أحل مسائل الشطرنج المعقدة

كرستوفر : ربما كان ذلك ، ولكن فيما عدا ذلك  
من تصرفات - كم تكون الصدمة فظيعة  
قاسية لوالدنا المسكين ..! كان رائداً في  
المدفعية وهذا ابنه يود بجمع الأنف لو

يقلب الدنيا رأساً على عقب ، إنها  
لكارثة عائلية مفرجة ، ترى لماذا يعلو  
الصدأ بنادق والذى يمثل هذه السرعة . إنها  
ظاهرة محيرة

بيتر : لا تعر قوله أى اهتمام يا بنى ، إن والدنا  
لم يكن يرى إلا حيث تتحرك الأشياء .  
لقد كان دائب الحركة . وفى هذا أنا  
أحلو حلوه وأنهج نهجه [بحرك إحدى القطع  
على رنة الشطرنج ] وهذا هو السبب فى تقديم  
البيدق الأحمر إلى ف ٤ . الأبيض فى  
موقف دفاع .

كرستوفر : الأبيض فى موقف دفاع ! دعنى أرى .  
[ يتقدم إلى حيث رنة الشطرنج ]

بيتر : الأحمر يهجم . الأبيض يتقهقر .

كرستوفر : [ بجانب رنة الشطرنج ] اسمع يا بيتر ، ليس  
هذا من الإنصاف فى شئ ، ولو كان والدنا .  
هو الذى يلعب ، لحرك الفرس إلى د ، وإذا  
ما تحرك الفرس إلى د . . .

بيتر : لا تتدخل فى لعبى .

كرستوفر : إنها لعبة والدنا . انظر لو تحرك الفارس

الأبيض إلى د' لاستطاع أن يكسب الدور  
في النقطة الثالثة .

بيتر : ولكن هذا ما لا رغبة لي فيه يا عزيزي ،

إنني أريد أن تكون الهزيمة للفريق الأبيض  
وهذا هو السبب الذي من أجله سيتخطى  
البندق الأحمر المتاريس ويحترق الحصار  
ليطرد الفارس الأبيض ويجلبه عن موضعه .

كرستوفر : يا الله ! إذن لا بد من أن يكون في المسألة

غلطة . إن الرجل الذي وضع المسألة لم  
يُدخل هذا الاحتمال في حساباته .

بيتر : المسألة يمكن حلها على وجهين يا سيدي

العزيز .

كرستوفر : الحل الأول هو طريقة والدي .

بيتر : والحل الثاني هو طريقة الثورة ، إلى الأمام

أيها البيادق المظلومة ، المهضومة الحق ،

الرخ في خطر [ شك ]

كرستوفر : اسمع يا بيتر . أعد البندق الأحمر إلى

موضعه وإلا فسدت الخطة بأكملها .

بيتر : أي خطة ... ؟

كرستوفر : خطة والدي بالطبع لو كان هو اللاعب

لحرك الفرس إلى د' . أعد البندق إلى مكانه

پيتر : لماذا . . ؟  
 كرستوفر : أحب أن أرى كيف كان والدنا ينهى اللعب .  
 پيتر : ولكن والدنا ليس هو الذى يلعب الآن .  
 إن اللعب قد تغير ، والوضع يختلف اليوم  
 عما كان عليه بالأمس . هذا دورنا . لقد  
 انتهى الأمر أيها الفارس . لا شيء فى  
 مقدورك يستطيع أن يحول دون تقدم هذا  
 البيدق الأحمر إلى الأمام ، وسوف يتحول  
 فى الخطوة الرابعة إلى وزير عظيم جبار .  
 ولكن عندنا اسم جديد له ندعوه به اليوم . . ؟

كرستوفر : ماذا تسميه . . ؟  
 پيتر : [يتحول منظره فجأة إلى الصراخ والجد] الحكومة  
 الجديدة يا عزيزى ، الحكومة الحمراء .  
 وسوف يتم لها الأمر عن قريب ؟  
 كرستوفر : لا أظن ذلك يا پيتر ، فما يزال ثمة حركة  
 أخرى .

پيتر : وأى حركة تكون هذه . . ؟  
 كرستوفر : هذه [يعطي بجميع قطع الشطرنج]  
 پيتر : آه ، هذه تسمى طريقة القوة الغاشمة [ينهمر  
 رافقا] ولكننا سنجد طريقة ، أخرى لحسم  
 هذا النزاع بيننا .

- توفى : [ وكان حتى هذه اللحظة يقرأ وهو جالس على الأريكة  
يرفع رأسه منزعياً ] بالله عليكما كفاً عن السياسة  
واتركاها تستريح قليلاً . إننى لا أستطيع  
أن أتحمل كل هذا الشجار بينكما .
- كرستوفر : لا تزعج ، تمالك أعصابك ، نحن لأنما نمزح  
ترويحاً عن النفس ، معركة ودية لا غير .  
أليس كذلك يا بيتر . . ؟
- توفى : إننى أعلم تمام العلم أنكما لا تمزحان .  
أعترف ما يدور فى خلدكما
- بيتر : أصبت يا توفى ، نحن جادون كل الجد ،  
هذه هى المعركة بين العالم القديم والعالم  
الجديد ، ولكن لا تُرع فسوف أحسم  
الأمر بالقضاء عليه . [ يتناول عوذة مخيفة  
وحشية المنظر من فوق الخائط ويضعها فوق رأسه ] .
- كرستوفر : [ وهو يضع عوذة من عوذات الفرسان فوق رأسه ]  
هيباً إذن . . [ يتناول سيفين من السيوف المعلقة  
على الخائط ] اختر سلاحك يا سيدى .
- بيتر : [ وهو يثنى أحد السيفين اختياراً له ] حسبى هذا . .  
[ يتفان كل منهما على حذر من الآخر ]  
كن حكماً بيننا يا توفى .
- توفى : [ وهو يدين وجهه فى كتابه ويضع سبابته فى أذنيه ]

لقد قلت لكما ، إننى لا أطيق هذا المنظر .

كرستوفر : استعد - هيا . . . [ يبدآن مبارزة تصحبا

الصرعات المناسبة ]

بيتر : ليسقط جميع الطغاة والخونة

كرستوفر : هيا . . .

بيتر : أول دم يسيل .

كرستوفر : جرح سطحى بسيط بالكتف ليس إلا .

[ يواصلان المبارزة والصوناء ]

بيتر : سوف تنتهى المعركة بفوزنا - ستكون لنا

اليد العليا .

كرستوفر : لكم اليد العليا ! انتظر وسوف نرى

أصبتك بسلاحى .

بيتر : خدش بسيط ، إلى النزال . لا تقل أبداً

قد هلكت .

كرستوفر : لن تصل إلى أبداً . . .

بيتر : هذه بداية النهاية .. أصبتك . . .

كرستوفر : أنت الذى أصبت لا أنا [ يتوقدان ] قل لى

يا بيتر هل آلمتلك الطعنة . . ؟

بيتر : طبعاً لا . . احترس [ يقلبان المقاعد والمرائد

الصغيرة ] لا

كرستوفر : هيا

- پيتر : قف .. هذه ضربة كانت تقطع ويريد  
 رقبته، ولا ريب يا كرسنوفر ، فأنت ميت ؟  
 كرسنوفر : [ جرح ، ولكنه يواصل القتال ] إلى آخر  
 نقطة من دمي ..  
 توفى : [ صارخاً ] كفنا عن صياحكما .. كفى ،  
 كفى ...  
 پيتر : سوف أفرغ منه بعد قليل يا توفى البيديق  
 يهجم ها ... ها ، العالم القديم يتعثر وينهار .  
 كرسنوفر : انتهى الأمر . هذه الطعنة اخترقت قلبك  
 يا پيتر [ ينكس سلاحه ]  
 پيتر : [ يجيبه بسلاحه ] شكراً . لقد هلكت .  
 كرسنوفر : [ يجيبه بسلاحه ] إلى آسف لك يا عزيزي  
 پيتر : ولكن البياديق الحمراء سوف تزحف  
 خلفي بالآلاف - فليحيا الرفاق !  
 [ تدخل الأم وتقف على عتبة الباب ]  
 الأم : يا أولاد ! يا أولاد ماذا تصنعون ؟  
 پيتر : آسف يا أماه [ يبادر إلى تعليق سيفه على الحائط  
 بمنتهى السرعة ] لقد قتلني كرسنوفر يا أماه ،  
 طعنني في سويداء القلب طعنة نجلاء  
 [ يخلع عودته ]  
 الأم : لماذا وأنتا توأمان تتشاحنان على الدوام

انظروا ما صنعتم بهذه الغرفة ، وما أحدثتم  
فيها ثانية من فوضى ، على الرغم من أنها  
غرفة والدكما أيها الشقيان ..

بيتر : لا عليك يا أماء ، سنعيدها إلى ما كانت

عليه من نظام رتيب ، هيا يا كرستوفر  
[ يصرعان بإعادة الغرفة إلى نظامها السابق ، ويرفغان  
الموائد والمقاعد التي قلبت رأساً على عقب ]

الأم : اتركها كما هي ، أنا أدري بطريقة  
تنظيفكما وتنسيقكما للأنث. إنها ستكون  
أسوأ حالا مما هي عليه الآن عندما  
تفرغان منها .

كرستوفر : [ يزحف على يديه وركبتيه مسوياً السجادة ] وأنت  
على حق يا أماء ، كف يا بيتر

بيتر : [ وهو أيضاً على يديه وركبتيه ، يدفع جانباً ]  
كف أبت نفسك [ يتشابهان على الفور ويتدسرجان  
فوق أرض الغرفة ]

بيتر : سوف أصليكَ ناراً حامية يافتي . . .

كرستوفر : [ لامتاً ] كل ما أرجوه أن تحاول هذا .

بيتر : فلنتظر [ يتدسرجان فوق أرض الغرفة ]

الأم : في ذلك ما يكفي الآن . إنكما سوف تحطمان

كل شيء في يوم من الأيام . لانفي في

حيرة من أمركما . أما تخجلان من أنفسكما  
وفي مثل سنكما . ترى ماذا يقول توفى  
عنكما .. ؟

بيتر : [ وهو يخل سبيل كرستوفر ] تعال يا توفى  
دعنى أريك كيف أصنع .

توفى : لا ... شكرا

الأم : توفى لا يرغب فى معرفة شىء من ذلك .  
والآن اعزبا عن وجهى . ما الذى حدا  
بهما إلى التشاجر يا توفى .. ؟

توفى : رفض بيتر أن يحرك يديه إلى المربع د .

كرستوفر : [ وهو يجمع قطع الشطرنج المبعثرة على الأرض ] هذه  
يا أمى هى بعينها النقلة التى كان ينقلها أبى لو  
كان حيا . فأنا إنما كنت أدافع عن تقاليد  
الأسرة .

بيتر : هذا غير صحيح يا أمى . إن ثمة وجهين  
لحل المسألة .

كرستوفر : [ وهو يمد قطع الشطرنج فوق الرقعة ] إذن لماذا  
لا تلعبها كان يلعبها أبى .. ؟

بيتر : ولم لا ألعبها على الطريقة الأخرى . لأننى  
أجروا على القول بأن أبى لو كان حيا  
لاتبع الطريقة عينها التى ألعب بها الآن .

- الأم : هيا .. هيا . كفا عن النقاش ، واعزبا عن وجهي الآن . يجب أن أعيد ترتيب هذه الغرفة بعد عبتكما بها أيها الشقيان اللذان ليس منكما نفع يرجى . . .
- كرستوفر : سوف نساعدك يا أماه .
- الأم : ما أعظمها مساعدة . إنني واثقة من أنكما لا تعرفان حتى كلمة الترتيب .
- كرستوفر : كيف لا يا أمي . إنها إعادة الأشياء إلى وضعها الأول . . .
- بيتر : إنها وضع الأشياء حيث يجب أن توضع .
- الأم : لا يا حبيبي . إنها وضع الأشياء بحيث تكفل للإنسان الشعور بالراحة ، ولكنك لن تفهم هذا . والآن هيا أنها الاثنان اعزبا عنى ..
- كرستوفر : هيا بنا إلى الخديقة لنجرب هذه البندقية .
- بيتر : أجل ، وسرى من منا يستطيع أن يصيب زجاجة على مرمى خمسين ياردة ، ماذا ترى؟
- الأم : لماذا تحاول دائماً أبدأ أن تحطم شيئاً ما . . ؟
- كرستوفر : آت أنت معنا يا توفى . . ؟
- [ يتناول من الرف البندقية عنها التي ألقى بها إلى الغرفة ]
- الأم : لا . إن توفى لا يجب ضرب النار ، أليس كذلك يا توفى ؟

- : إن توفى خائف . هذه هي الحقيقة .  
 : لا . إنه ليس بخائف . أنت لا تفهمه . . .  
 : إن طبعه يختلف عن طبعك ، هذا كل ما في الأمر .
- : كل واحد منا يختلف عن الآخر يا أمي :  
 : ليس إلى الحد الذي تتوهمه . والآن اخرجنا أيها الشقيان الكبيران .
- : [ يقبل وجنتها ] أما تزالين غاضبة .. ؟  
 : [ يقبل وجنتها الأخرى ] ماذا أأنا غاضبة .. ؟  
 : لقد راضتُ نفسها الآن على كل ما يصدر منا  
 : أتعرفان أين ذهب جورج .. ؟
- : لا . ترى أين يكون ، أتعرف أنت يا توفى ؟  
 : أتعرف أين هو ؟
- : قال ... إنه ... ذكر شيئاً عن اجتماع يريد حضوره .
- : مع من ... ؟  
 : ربما مع فائزة مجهولة يا أمي . . .  
 : [ يتدافع الشقيان إلى مفادرة الدرفة ]  
 : وماذا كنت تفعل هنا يا توفى .
- : لا شيء ، كنت أقرأ ليس إلا . . .  
 : كتاباً من كتب أبيك ؟  
 : نعم يا أمي كنت أقرأ كتاباً عن الرحلات ..

الأم : إنك دائم التفكير في البلاد النائية السحيقة .  
ولكن هذا لن يعود عليك بأى نفع  
يا توفى .. إنك لن تقوم أبداً بأية رحلة  
طويلة ، أليس كذلك .. ؟

[ تزرع الدرقة ذعاباً وإهاباً وهي ترتب أثارها وتعيد  
تسقيها في هدوء ]  
توفى : من الجائز ألا أفعل ، ولكننى أستطيع أن  
أخيل ما تكون عليه الحياة هناك ..

الأم : أين .. ؟  
توفى : لا أعرف على وجه التحديد ، ولكننى  
أستطيع أن أرى بعين الخيال سهلاً فسيحاً  
مكسواً بالحشائش الطويلة وفجأة أرى فيه  
قطيعاً من الطباء - لأننى أعجب كيف  
يستحل الإنسان قتل الحيوان برصاص  
البنادق ..

الأم : كان والدك يقتلها أثناء الصيد ، ولكنك لن  
تفعل شيئاً من هذا . أليس كذلك ؟  
[ تطوق رقبته بذراعها ] أحب أن تكون دائماً  
كما أنت الآن - لا بد من أن يبقى واحد  
منكم في البيت يا توفى ، وإلا فلن يكون  
ثمّة بيت على الإطلاق . أليس كذلك ... ؟

[ تقبله ] والآن دعنى واذهب ، فعندى هنا  
ما يشغلنى .

[ يخرج توفى ]

: [ تواصل إعادة تنسيق الغرفة فى هدوء وسكون ]

الأم

سوف يكون توفى مختلفاً عنهم ، يجب أن يكون  
مختلفاً عنهم [ تقف أمام صورة الأب ، وتنظر  
إليها ثم تهز كتفها ، وتذهب لإرضاء الستور الثقيلة  
ليغير الحجره الظلام أو يكاد . تعود الأم بعد ذلك  
إلى صورة الأب ، وتضىء مصباحاً موضوعاً أمامها ]  
لماذا تواصل اجتذابهم إليك ؟.. أنت تعلم  
أننى لا أحب ذلك . حتى توفى الذى لم  
يرك أبداً يتحين الفرص ليحكى فى هذه الحجره .  
لماذا تعاملنى هذه المعامله يارتشارد .. ؟ إننى  
لا أريد أن أراهم منجذبين إليك على الدوام .

: [ يتقدم متمهلاً من الركن المظلم مرتدياً نفس الزى

الأب

الذى يظهر به فى اللوحه المعلقة على الحائط ] إننى  
لا اجتذبهم إلى ياحبيبتى . إنهم يأتون من تلقاء  
أنفسهم ، وأنت تعلمين مبلغ ميلهم إلى  
اللعب والعبث بالأشياء الموجوده بهذه الغرفه  
منذ نعومة أظفارهم ، فلا يأخذنك العجب  
بما يفعلون .

: [ تستدير لمواجهته دون أن يبدو عليها أى أثر للدهشة ]

الأم

هذا ماتقوله أبداً يا عزيزي ، ولكنهم الآن  
وقد شبوا عن الطوق ماتزال تسهويهم هذه  
اللعب الموجودة بحجرتك ، وما يزالون  
جد حريصين على الهجاء إليك .. ؟

الأب

: إنما تدفعهم إلى ذلك ذكريات الطفولة ،  
وربما كان من الأوفق أن تتخلصي من  
هذه الأشياء البالية . مارأيك في هذا ؟..

الأم

: أتخلص منها ؟.. أتخلص من مقتنياتك .. ؟  
لا يارتشارد ، إن لي بعض الحق فيها . إن  
وجودها هنا كان من أجل [ تجلس على الفوتيل ]  
ثم إن الأولاد عند ما يأتون إلى هنا ، فإنه  
يبدو لي دائماً كما لو أنهم قد تركوا وراءهم  
شيئاً فيها يجعلني أنصوّر أنك أنت الذي  
كنت فيها .

الأب

: [ وهو يجلس على كرسي ، جلسة الفارس على سهوة  
الجواد ]

أوه يا حبيبتي ، إنها مجرد رائحة التبغ .

الأم

: أوه .. إنه شيء أكثر من التبغ ، إنه شيء  
يتبض بالحياة . فما هو إلا أن أعرض عيني حتى  
يفشاني إحساس قوي ملح .. كان رتشارد  
يجلس هنا ... رتشارد ... رتشارد ...

الغرفة ما تزال غاصة بك . لا تقل إنه  
الأثاث العتيق هو الذى خلفته ورايك فيها ..  
إنه أنت ، أنت الذى تملؤها ، إنك تفسد  
على الأولاد يا رتشارد ..

الأب : لا تتغابين - أنى لى أن أفسدهم عليك ..  
إن الإنسان بمجرد أن ..

كم سنة مرت على هذا ؟ ..  
الأم : أنت تعرف ولا شك .. سبعة عشر عاماً ..  
الأب : كل هذه المدة الطويلة ؟ .. إذن كان يجب  
أن تعلمى أن الإنسان الذى قضى نحبه من  
سبعة عشر عاماً ، لا يمكن أن يبقى منه شئ  
يستحق الذكر يا حبيبى ، والقليل الذى  
يبقى منه يتناقص يوماً عن يوم .

الأم : ليس هذا بالأمر الهام ، وإنما الذى يهمنى  
هو أنك تفتنهم وتجذبهم إليك .. وهذا  
هو السر فى مجيئهم على الدوام إلى هذه  
الغرفة .. قربك يستهويهم كلما تذكروا أن  
أباهم كان جندياً وبطلاً .. إننى أعرف  
كيف يسحرهم هذا ، كيف يسحرهم دائماً  
ويحلب لهم ..

الأب : كان ينبغى لك يا بنيتى المحبوبة ، ألا تخبرهم

الأم

بشيء من ذلك . لقد أخطأت في هذا ..  
: كان ينبغي ألا أقول لهم .. ؟ جميل منك  
أن تقول مثل هذا القول . بأى شيء كنت  
أحبي ذكراك إذن ، إن لم أرو لهم عنك  
ما رويت .. ؟ إنني منسـة فقدتلك ،  
يا رتشارد لم أنعم بشيء من مسرات الحياة  
اللهم إلا ذكراك والأولاد . إنني أعلم  
مبلغ ما أدين لك به من فضل بسبب هؤلاء  
الأولاد ، إذ ما أقل الأبناء الذين يحق لهم أن  
يفخروا بأبائهم ، كما يحق لأولادى أن  
يفخروا بأبيهم . ولا إخالك تعلم مبلغ اعتزاز  
أولادنا بذكراك . أكنت تريدنى على أن  
أحرمهم هذا التراث ، هذا الحق المكتسب .

الأب

: إنك تغالين يا عزيزتى .. ولا تغضبى إذا  
أناقلت لك إنك كنت على الدوام مسرفة  
من هذه الناحية خاصة . فن ناحية هذا  
الموضوع ، لم أكن بطلا بالقدر الذى  
توهمين ، فالعمل الذى أنجزته لم يكن شيئاً  
مذكوراً . اصطدام مع الأهالى لا أكثر  
ولا أقل ... وحتى في هذا لم تكن الغلبة  
لنا ...

الأم

: هذا ما تقوله دائماً ، ولكن رئيسك المباشر  
قائد الحملة .. كتب إلى يقول .. « إن  
من حقتك أن تندبى بطلا من الأبطال ،  
فزوجك تطوع لإنجاز عملية محفوفة بأعظم  
الأخطار ، فلك أن تفخرى به كل الفخر .

الأب

: يا بني المحبوبة ، إن هذا إلا كلام أجوف ،  
ولعلها طريقتهم في اصطناع الرقة عند ما  
نقلوا إليك الخبر تخفيفاً عنك ورحمة  
بك .. بطل ! ما أروع . هذا التعبير .  
كان لا بد من أن يضطلع أحدنا بالعملية ..  
ولو لم أتطوع أنا لها لتطوع غيرى ..  
هذا بالاختصار ، هو كل ما في الأمر .

الأم

: نعم ، ولكن ربما لم يكن المتطوع الآخر أباً  
لخمسة أبناء يارثشارد ..

الأب

: ربما ، ولكن ليس لزاماً على الرجل أن  
يكون جندياً غير كفاء لمجرد كونه أباً  
لخمسة أولاد ، إننى كما قلت ، لم أفعلى  
شيئاً خارقاً للعادة .. ولكنه أمر لا أنتظر  
منك أن تفهميه يا عزيزتى ، لأننا ونحن  
في عمرة القتال قد نتخلف وجهة نظرنا  
من بعض الوجوه ، ومن العسير أن أشرح

لك ذلك ، ولكن الذى أعنيه هو أن ما  
يصفه الناس بأنه من أعمال البطولة الرائعة  
وإلى ذلك ، إنما يبدو لنا فى الواقع  
من الأعمال العادية عند استعراض الموضوع  
من وجهة نظرنا .. فهو يبدو جزءاً من  
العمل المنوط بنا ، والذى لا مفر من  
إنجازه . كان لا بد من تغطية جناحنا  
و حمايته ، هذا كل ما فى الأمر ، والذى  
حدث بالفعل ، هو أنه كان لا بد من حماية  
جناح الكتبية الرئيسية أثناء تقدمها هنا  
وهناك . . وكان هذا بحذاء عمر جبلى  
فاضطرت فصيلتنا إلى الصمود أمام العدو  
فيه لا أكثر ولا أقل ، ولم يقتل من  
رجالنا سوى اثنين وخمسين رجلاً فقط .  
هذه كل خسائرنا ، مسألة غير ذات  
أهمية .

الأم : وكم كان مجموع عدد التجريدة . . الى

قبل منها اثنان وخمسون . . ؟

الأب : اثنان وخمسون طبعاً ، ولكننا احتفظنا

بمراكزنا ستة أيام بلياليها . ولست أكتفك  
أن أمر ما قاسيناه من مشاق ، كان

بسبب العطش ، فلم يكن معنا شيء من  
الماء إطلاقاً ، فأجهدنا العطش جهداً  
بالغ الحد ، ثم إنني إلى جانب هذا كله ،  
كدت أجن من الغضب .

: وفيه كان غضبك ؟

: لأن كل هذا لم يكن من الضروري أن

يحدث ، فقد أخطأ أميرالاي (السيّد) ، كان  
وجه الرأي أن تبقى الفصيلة عند السفح ،  
كما كان من الواجب إرسال أورطين على  
الأقل للسيطرة على المر الجبل ، ومعهما  
بطارية مدفعية جبلية أيضاً . كنت أعلم  
الحاجة إلى كل ذلك مقدماً ، وأفضيت  
برأيي هذا إلى العميد ، ولكنه أجابني  
بقوله : « بيدولى يا سيادة الصاغ (الرائد)  
إنك تشكو من البرد في قدميك ، وهو تعبير  
عن الخوف .

: أمن أجل هذا يارتشارد مشيت إلى حتفك .

: هذا هو السبب الرئيسي يا حبيبي ، السبب

الرئيسي ، أردت أن أبرهن للعميد على  
أنني كنت على حق فيما أشرت به ، إنه كان  
جمحشا كبيراً يا عزيزي ، تأمل كيف ترك

الأم  
الأب

الأم  
الأب

الأهالى يفررون به على هذه الصورة  
المزرية .

الأم : ومن أجل هذا . . من أجل هذا ..  
الأب : يخيل لى أن المسألة تبدو سخيفة فى رأيك  
ولكنها فى الجيش يا عزيزى ، تعد من  
المسائل المتعلقة بالشرف ، ومن ثم لها  
الأولوية على كل مسلك آخر .

الأم : إنك لم تفض إلى شئ من هذا قبل اليوم ،  
وإذن فأنت قد لاقيت حتفك ؛ لأن العميد  
أصدر أمراً خاطئاً .. ؟

الأب : شئ من هذا القبيل يا عزيزى . ولكن  
مهما يكن من أمر ، فقد أثبت أنى كنت  
على حق فيما ذهبت إليه ، وليس هذا  
بالأمر الهين ..

الأم : أهذا كل ما كنت تفكر فيه ؟ لاشئ  
سوى أن تبرهن على أن الصواب كان لى  
جانبك ، فلم نخطر لك نحن على بال ، أليس  
كذلك ... ؟ ولا عنيت بالتفكير فى أمرى ،  
وإنى كنت أنتظر مولوداً جديداً ..

الأب : طبعاً فكرت يا حبيبى ، وهل كنت أملك إلا أن  
أفكر فى ذلك ؟ .. إنه لافكرة لديك كيف تمر

كل هذه الأفكار بالإنسان في ساعة الخطر  
عند ما يتحرج الموقف وتضيق به السبل ،  
فهو مثلاً يقول لنفسه وهو يقطع الفيافي على  
صهوة جواده : ربما واتاني الحظ ، فأعود  
إلى الوطن بعد ثلاثة أشهر أو نحو ذلك ،  
وفي هذه الأثناء يكون الطفل قد ولد .  
سوف أتوخي منتهى الحيلة ، فأترك سيفي  
في المدخل وأمشي على أطراف أصابعي ، نعم  
على أطراف أصابعي . ثم إنى أنتظر من أندرو  
الصغير أن يخبيني بحماية عسكرية سليمة . .  
وماذا بعد ذلك . هناك جورج ، وأظنه سوف  
يربني لعبة أو أخرى من لعبه . وهاتما التوأمان  
يتشابكان ويتدافعان ، كل منهما يحاول أن  
يجلس في حجرى قبل أخيه ، تعال أيها  
الصعلوك الصغير ، إن ثمة متسعاً لكما  
جميعاً ، ولكن كفتاً بالله عن هذا  
العراك . . وها هي زوجتى . . لقد انقضت  
سنة أشهر أو أكثر ، منذ أن رأيتها آخر  
مرة ، ستة أشهر أو أكثر ، أتراها  
عندما آخذها بين ذراعى ، ستدوب كما لو كانت  
قد خلقت بغير عظام ، وتتهدد بصوت

رقيق ناعم : رتشارد ... [ يهنس واقفا ]  
والآن يا حبيبتى ، كيف كان الحال معك  
طوال هذه الفترة المديدة .. ؟

الأم : [ ورم تمنس عينها ] فيم السؤال يا حبيبتى ..  
لقد كنت أترقب مقدمك بطبيعة الحال ، لقد  
أنجبت لك ولداً آخر ، إنه رقيق نحيف  
الجنس ، ولا يعلم إلا الله سبب ضعفه وهزله .  
ربما كان سبب ذلك ، فرط الدموع التى  
كنت أذرفها عليك .

الأب : سوف ينمو يا عزيزتى ، ويتغلب على ما به  
من هزال ، ويشدد ساعده مع مرور الأيام  
ويصبح قوياً مثل أشقائه ، بل بطلا من  
الأبطال المشهود لهم أيضاً . سوف ترين  
ذلك بنفسك .

الأم : [ فى سيق وقلند مغاسم ] لا .. لا ، أنا لا أريد أن  
يكون توفى بطلا أبداً ، كفافى ما منيت به  
بسبب البطولة يا رتشارد ، لقد دفعت  
فى سبيل هذه البطولة من الثمن ما فيه  
الكفاية ، وفوق الكفاية . أما فقسدتك  
بسببها .. ؟ أمدرك أنت مبلغ خسارة المرأة  
حينما تفقد زوجها .. ؟ أما تعلم أن الذى

بقي مني بعد رحيلك لم يكن شيئاً مذكوراً ،  
بل أقل من أن يؤبه به أو يقام له وزن . . ؟  
كيف طاوعك قلبك على معاملتي على هذه  
الصورة ، فتدع نفسك تقتل في سبيل غاية  
ليس لها ما يبررها من بعيد أو قريب . . ؟

الأب

: لأنني لم أستطع لذلك دفعاً يا حبيبتي . .  
فعند ما قال العميد للعين بأن قدمي باردتان -  
لم يكن أمامي سوى مسلك واحد . أليس  
كذلك ؟ ثم هو قالها على مشهد ومسمع من  
الضباط الآخرين . « يبدو لي أيها الرائد كما  
لو كانت قدمك باردتين » . ترى ماذا  
كنت تقولين لي يا حبيبتي . لو كنت  
حاضرة معنا في تلك اللحظة ؟

الأم

: [ في صوت سالت وهي تنهض واقفة ] كنت أقول  
« يجب أن تذهب يارتشارد ، وألا تدعه  
يخاطبك بمثل هذا الكلام » .

الأب

: رأيت يا حبيبتي ، أنك كنت تشعرين بمثل  
ما شعرت . . ؟

الأم

: أجل لأنني أحببتك يارتشارد . لأنه لا بد  
لي من المداومة على حبك ، ولكن لا يجب  
أن تعبر هذا أدنى اهتمام يا حبيبتي . إنك

لا تدرك معنى حب المرأة عند ما تحب  
أحداً من الناس بكل كيانها على طريقتهما  
النسائية ، حيث يتلاشى العقل والمنطق ،  
والواقع أنني أنا نفسي لا أعرف تعليلاً  
للدوافع التي تدفعنا إلى التصرف على هذه  
الحال ، كل ما أعرفه هو أن ما جلدني  
إليك ، وملك على حواسي وعواطفى بصورة  
طاغية شاملة ، كانت هيئتك العسكرية  
بارتشارد ، وزين مهامك وشجاعتك ومشيئتك  
المتعالية ، وشرفك ومرورتك ووداعتك المطبوعة  
التي لا تكلف فيها . لست أدري لماذا  
أحببت فيك هذه الصفات إلى درجة  
تقرب من العبادة ، لعل ذلك كان  
لسداجتي ، لقد كنت بك متيمة ، كنت  
بك مفتونة . ولكنني حتى الآن ، وإلى  
هذه اللحظة لا أستطيع أن أتحمّل حتى مجرد  
الظن بأنك قد تصرفت في أى وقت تصرفاً  
رخصياً يتنافى مع ما عهدته من شهامتك .  
: ... أرايت إذن لو أنني كنت امتنعت  
عن الذهاب ...  
: لا . لا يارتشارد لا تؤول مغزى كلامي

الأب

الأم

حرفياً ، إذ ربما ، بل من المؤكد قطعاً  
أننى كنت أتغلب على شعورى ، وأتغاضى  
عن عدم تصرفك كجندى إلى النهاية ،  
إذن لكنت عدت لى وإلى أولادنا ، وتركت  
الجيش ، وارضتُ نفسى على ذلك وارتضيت  
الوضع الجديد . . . ولأقمت على حبك  
كالمعتاد . ربما كان ذلك على صورة  
أخرى . إنى أدرك تمام الإدراك ، أنك لو  
كنت عدت إلى لشقيت فى دخيلة نفسك  
وتعذبت لجرمائك من شرف العسكرية ،  
ولكننا كنا نتغلب على هذا مع الزمن ،  
ولنعمتُ على الأقل بوجودك معى ،  
ولسهرت على راحتك . .

إذن لكنت رجلاً لا يغريه شئ بالحياة ،  
ولا يجذبهُ إليها شئ رجلاً يندب  
الماضى ويتحسر عليه . أكان يرضيك  
ذلك منى يا حبيبى . . ؟

كان لزاماً على أن أرضى بالوضع  
الجديد طالما أنه لم يكن منه بد . . ولا  
تنس أننى حتى فى ذلك العهد ، كنت مضطرة  
إلى أن أقنع بالقليل ، وبما دون القليل .

الأب

الأم

الأب

: أعرف ذلك يا حبيبي . وإني شديد الأسف  
في الواقع لما أضال المعاش الذي يصرف  
لأرملة رائد .

الأم

: كان هناك خمسة صبية يارثارد . انظر  
إليهم الآن ، ليس لديك أية فكرة عن معنى  
هذا ، بالنسبة لأرملة لا نصبر لها ولا معين ،  
لا ، هذا أيضاً أمر لا ينتظر منك أن تفهمه .  
مغفرة يا حبيبي ، كان أجدر بي ألا أذكر  
شيئاً عن هذا الموضوع ، ولكنك  
لا تستطيع إدراك مبلغ ما في ذلك كله من  
عنت شديد ، وقلق ممض - الملابس والطعام  
ومصاريف المدارس ثم ملابس أخرى ،  
ثم طعام ، ثم مصاريف مدارس . جهاد  
مستمر ، وكفاح لا هوادة فيه للتغلب على  
هذه العقبات جميعاً وتذليلها ، أنظر إلى كل  
قرش مرتين ، قبل أن أدعه يفلت من يدي .  
ولكن ماذا تستطيع أن تعرف عن ذلك  
كله . . ؟ طبعاً ليس فيه شيء من البطولة ،  
ولكنه عمل كان لا مفر من إنجازه ،  
والاضطلاع به تماماً ، كالواجب الذي كان  
عليك أن تؤديه يا حبيبي . لماذا تنظر إلى

هكذا . . ؟ أرايت إلى أى مدى انحدرت  
في الحال .

الأب : إنك جميلة يا حبيبتي ، أكثر جمالا من  
ذى قبل .

الأم : كف عن هذرك ومجونك يا رتشارد ،  
نحن الأحياء تعدو علينا يد الزمن - بالتغيير  
والتحويل ، بصورة مرعبة مخيفة . أما أنت  
فلم يطرأ عليك أى تغيير ، ولا قيد شعره .  
إنى في غاية الحجل من شعورى بكبر سنى  
الآن بالمقارنة إليك . لا تنظر لى يا حبيبى .  
لقد أرهقنى القلق وطول الكفاح . كم كانت  
الحياة قاسية بدونك ! .

الأب : ولكنى يا حبيبتي ، لم أكن لك سندا بذكر  
ولا عائلا فيه غنية .

الأم : عندما كنت حيا ، كنت أشعر على الأقل  
بأننى لست وحدى في زحمة الحياة ، وقد  
كنت أشد ما أكون إليك حاجة عندما بدأ  
الأطفال يشبّون عن الطوق . لا تحمل  
كلامى على غير مغزاه ، كانوا صبية على  
خبر ما يرأم طيبة واستقامة ، أندرو  
وجورج والثوآمان ، كل واحد منهم كان

يسارع ما وسعه الجهد إلى مرضاتي ،  
ولكنهم كلما ازدادوا نموا كانوا يتكلمون لغة  
غريبة علىّ في بعض الأحيان ، إلى  
لا أفهمها كل الفهم يا رتشارد . واعتقد  
أن في مقدورك أن تفهمهم أحسن مما  
أفهمهم أنا .

الأب

: لست على يقين من ذلك يا حبيبتي ،  
لست على يقين من ذلك . أخشى أن  
يكون ذلك لغزاً يحيرني أنا أيضاً . . . لأنني  
لا أعرف شيئاً إطلاقاً عن الطب ، أو عن  
الطائرات ، أو عن تلك الميول الحرقاء التي  
أغرم بها التوأمان .

: أتعني السياسة ؟

الأم

الأب

: نعم لأنها فوق طاقة علمي يا حبيبتي ،  
فأنا لم أكن سوى جندي بسيط لا يعرف  
سوى الشؤون العسكرية .

الأم

: إن هذا لم يمنعهم من تبجيلك كل التبجيل ،  
أعرف أنك كنت تريد أن ينخرطوا  
في سلك العسكرية . ولكن عندما قتلت  
قررتُ أنا خلاف ذلك . لأنني أعلم أنه  
كان في مقدوري أن أعلمهم في الأكاديمية

الحربية بدون مقابل ، ولكنني فضلت  
 أن أخرج إلى معترك الحياة ، وأعمل ليتسنى  
 لي الإنفاق على تعليمهم في الكليات  
 الأخرى ، كنت أريدكم أن يدرسوا  
 الطب أو الهندسة ، أو أى شيء آخر ما عدا  
 العسكرية . كنت أريدكم أن يعملوا  
 شيئاً نافعاً ، شيئاً يستطيعون عمله ، دون  
 أن يقتلوا أثناء مزاولته . حبذا لو علمت  
 مدى التضحيات التي قمت بها ، لأمهد لهم  
 سبيل التعليم في المدارس الملائمة .  
 وها أنت تستطيع أن ترى بنفسك اليوم  
 مبلغ ما وصلوا إليه .

: أعتقد يا حبيبي ، أن من حقتك أن تفخرى  
 بهم كل الفخر ، أولست كذلك . . ؟  
 : الواقع أنني لست على يقين من ذلك ،  
 بل أشعر كأنني دجاجة فقست نسوراً ،  
 ثم أعود فأقنع نفسي أحياناً بالألا أكون  
 ضيقة الأفق ، والألا أقف حجر عثرة في  
 سبيل ميولهم . إنه لمروع حقاً يارنشارد ،  
 كيف تتغير طبيعة المرأة عند ما تصبح  
 أمّاً ، مضى الزمن الذي كان يحلو لي فيه أن

الأب

الأم

أن أتوهم الأرواه ، وأشعر فيه بالتيه  
والخيلاء . ألسنت تذكر ذلك يارتشارد . . ؟

: بلى يا حبيبتى ..

: أتذكر كيف هربت من بيت أهلى لأكون  
معك ؟ لقد كنت على أتم استعداد يومئذ  
لأن أضحى بحياتى لو أنك طلبت ذلك  
منى - أما اليوم ، فكل ما يعينى هو أن  
أحرص على البقية الباقية منها لنفسى ، حرص  
الشحيح . لقد أعطيت ما فيه الكفاية ،  
أنت أولا ، ثم أندرو . لا يمكن أن ينتظر  
منى أن أعطى أكثر من هذا - لقد دفعت  
ثمنا باهظاً جداً فى سبيل ما يسمى بطولة ،  
نت أولا ثم أندرو .

: لا عليك يا حبيبتى ، لقد مات أندرو ميتة  
عظيمة .. ميتة عظيمة ومشرفة معا .

: أعلم ذلك . أعلم أن ميتته كانت مشرفة ،  
لأنك تحسب أنه شرف عظيم جداً أن يموت  
الإنسان فى سبيل أمر ما . ولكنه لم يخطر  
لك ببال أنك حينما تموت تترك وراءك  
بعض ذويك . ربما لم يكن لك مفر يارتشارد  
من القتل ، لأنك كنت جندياً بحكم عمالك .

الأب  
الأم

الأب  
الأم

ولكن لم يكن ذلك ضروريا بالنسبة  
لأندرو ... أندرو كان طبيبا ..  
رجل بحوث معملية ، وكان من المحتمل  
جدا أن يكون اليوم دائما على مواصلة  
بحوثه في أحد المعامل أو المصحات ، لم يكن  
حتمًا عليه أن يعرض نفسه لالتقاط عدوى  
وباء قتال ..

الأب : إن جميع الأطباء يكونون في بعض الأحيان  
عرضة لانتقال العدوى إليهم يا حبيبي .  
ولقد مات أحد أطباء كتيبتنا بهذه الطريقة .  
كان رجلا لين الجانب لطيف المعشر ،  
وكثيراً ما كنت ألاعبه الشطرنج ، ولكن  
تصوري يا عزيزي : انتقلت إليه فجأة  
جرائم الكوايرا ففتكت به ..

الأم : ولكن لم يكن حتماً على أندرو أن يتطوع  
للخدمة في المستعمرات . إنك أنت المسئول  
عن ذلك ...

الأب : على رسلك يا حبيبي ، كيف يكون ذلك  
وقد حدث بعد موتى بسنوات عابدة ...

الأم : هذا لا يغير شيئاً من الأمر ، لقد جذبته  
نحوك إلى هذه الغرفة ، وملكك عليه سبيله

هنا في هذه الغرفة ، كان أندرو يستذكر  
 دروسه على الدوام ، هنا كان يطالع  
 كتبه ، كان يذرع أرضها جيئة وذهابا  
 ساعات طويلة متواصلة وهو يدخن ،  
 وكان هنا في هذه الغرفة ، حينما أذهلني فجأة  
 بقوله . لأنني سأقوم برحلة إلى المناطق الحارة  
 يا أمي . أريد أن أرى شيئا من العالم .  
 لم يذكر لي يومئذ أنه ذاهب لمقاومة الحمى  
 الصفراء ، إنكم دائما تكتُمونني حقيقة  
 ما تنتوون . يقول أحدكم لأنني ذاهب إلى  
 رحلة قصيرة يا أمي ، ثم أنتم لا تعودون .  
 رخل أندرو عنى كما يتسلل اللص تحت  
 ستار الليل .

[ يخطو أندرو من ركن مظلم مقرباً منها ، وهو  
 يرتدى مريضة بيضاء من ذلك النوع الذي يرتديه  
 الأطباء ]

أندرو : ولكنني قد شرحت لك الأسباب يا والدتي  
 مراراً وتكراراً ، فقد كان كل همي ألا  
 تقلقى ولا ينشغل بالك ، لذلك لم أقل لك  
 شيئاً ، هذا كل ما في الأمر .

الأم : أهذا ما تسميه شرح الأسباب ؟ أعلم أنك  
 استندت إلى ذلك في تصرفك ، ولكن الذي

لم يخطر لك ببال هو أن العدوى ربما انتقلت  
إليك هناك . على أنني ما كنت لأنسى  
لك هذا يا أندرو ، وهي الحقيقة .

أندرو : وأي شيء كان يفيدك هذا يا أماء . . ؟  
لأنني كنت قد استقر رأيي على الذهاب على  
أي حال من الأحوال .

الأم : إنك كنت يا أندرو ابناً باراً ، رزيناً ،  
عاقلاً . ولولاك لخانتني الجلود في معظم  
الأحيان ، فقد كنت بمثابة أب ثانٍ للأولاد  
الآخرين . وكان لك شعور طيب  
بالمسئولية ، تقدرها حق قدرها . وإذا بك  
فجأة تذهب إلى المناطق الحارة وتموت  
هناك بالحمى الصفراء . ما كان أغناك عن  
هذا ، لا تقبل لي إنه لم يكن من  
ذهابك بد .

الأب : أما علمت يا حبيبتي ، أن للطبيب واجبات  
هو أيضاً لا بد له من الاضطلاع بها . إن  
ذلك من صميم عمله . أليس كذلك  
يا أندرو ؟

الأم : لماذا اخترت مكافحة الحمى الصفراء على  
أي شيء آخر ؟ لقد كان في وسعك أن

تبقى بوطنك ، تعالج المرضى فيه ، أو تخرج  
المواليد إلى نور الحياة الدنيا .

أندرو : أما علمت يا أماه ، أن مئات الألوف من  
البشر يموتون كل عام بالحمى الصفراء .  
وإنها لوصمة في جبين الطب ، إذا عجز  
رجالها عن مقاومتها واكتشاف العلاج  
الناجع لها ، إنه الواجب يا أمى لا أكثر  
ولا أقل .

واجبك أنت ؟

الأم : واجب العلم ، أما علمت أنه كان وباء  
أندرو  
فتاكاً ؟ إنك لو رأيت الناس وهم يموتون  
هناك لكنت أول من يقول « أندرو إنك  
لا تستطيع أن تتركهم يموتون على هذه  
الحالة . إنه موضوع معقد شائك يا أماه . ولم  
يكن بد من ذهاب بعض الناس إلى هناك .

الأم : ولكن هل كان ذهابك أنت بالذات أمراً  
لا مفر منه ؟ إنك لا تستطيع أبداً إقناعى  
بصحة هذه الدعوى يا أندرو .

الأب : لم لا . . ؟ إن له عقلاً راجحاً فيما أعتقد .  
إن أكثر الناس ذكاء وتفوقاً يا حبيبى ، هم  
الذين عليهم أن يضطلعوا بمثل هذه الأمور .

الأم : وهل أكثر الناس ذكاء وتفوقاً هم الذين يفرض عليهم أن يموتوا لذكائهم وتفوقهم .  
الأب : بلى ، ليس ثمة مفر من ذلك يا حبيبتى ، إن خير الناس وأقدرهم هم الذين يتقدمون الصفوف دائماً أبداً . لاندع هذا الأمر يقلق بالك يا أندرو ، فقد سلكت خير مسلك يا بنى .

الأم : طبعاً أنتم أيها الرجال دائماً تتحيزون بعضكم لبعض ضدى . من السهل عليك أن تقول بأنه قد تصرف تصرفاً سليماً ، ولكن لو أنك علمت كيف كان شعورى عند وصول تلك البرقية . لقد ذهلت من هول المفاجأة إلى حد التبس معه على معنى ما جاء بها « ابنك مات ، بطلاً في سبيل قضية العلم » .

الأب : ها أنت ترين بنفسك يا عزيزتى ، قالت البرقية « إنه مات بطلاً ، أو لم تقل ذلك ؟ »  
أندرو : لا عليك من هذا يا أبى ، إنه أمر لا أهمية له إطلاقاً . لقد كان كل همى أن أكتشف منشأ الحمى الصفراء . فهمة العالم كما تعلم هى فى البحث عن سبب الداء ، هذا كل

ط  
ما كان يهمني معرفته ، أما فيما يتعلق  
بالبطولة فهو من لغو الكلام وفضوله ؛  
فكل اكتشاف مها يكن من ضالته أمر له  
قيمه وأهميته .

- الأم : وهل اكتشفت شيئاً ؟  
أندرو : لا يا أمي ولكن ، غيري اكتشف . رجلان  
سويدي وأمريكي .
- الأب : يسوونى سماع هذا . أنا لا أحب الأمريكين  
الأم : ولكن ألم يكن هذا كله عديم الجدوى  
يا أندرو ؟ ألم يكن شيئاً غير ضرورى .. ؟
- أندرو : لا يا أمي أنت لا تفهمين الأمر على حقيقته ؛  
الأم : لا ، لست فاهمة . أظن أنني لم أفهمك أبداً .  
لأننى دائماً .. أسمع هذا العبارة منكم ،  
من جورج ومن التوأمين ، أنت لا تفهمين  
يا «ماما» .. لا ، أنا لا أفهم .. أنا لا أفهم ..  
يا الله ، سوف لا أستطيع أن أفهم نفسى  
عما قريب . ها أنتم جميعاً أولادى ، من  
لحمى ودمى ، لا تفتأون تقولون لى لاني  
لا أفهمكم ترى ماذا بكم من غرابة  
أو خصاصة يستعصى على فهمها .. ؟
- أندرو : [ يقرب منها ] لا تفعلى يا أماه ! هدنى من

روعك ، فقلبك ضعيف ، وقد يعود عليك  
الانفعال ببعض الضرر .

: لا ، دعني أقل كلمتي . لقد كنت أفهمكم  
كل الفهم وأنتم صغار ، أتذكر يا أندرو  
حينما كان يجرح أحدكم وأنتم تلعبون  
خارج المنزل ، كيف كنت أعلم كل  
شيء عما أصابه ، وأهرع إليه بكل ما في وسعي  
من سرعة ؟ وحينما كنتم تجلسون جميعاً حول  
المائدة ، كيف كان يفتاني شعور جسماني  
كنت أقول لنفسى ، هؤلاء الأطفال جزء  
من كياني ، لأنهم أنا . والآن ، كل  
ما أسمعه منكم ، هو أنك لا تفهمين يا ماما ..  
رتشارد ، ما هذا الشيء الغريب الذي تسرب  
إلى أعماق هؤلاء الأطفال وغير من شعورهم  
وجعلهم حزياً على .

: لم هذه الأفكار يا حبيبتي ؟ كل ما هنالك  
أنهم قد شبوا الآن وترعرعوا ، وأصبحت  
لهم مصالح وشئون خاصة بهم أليس كذلك ؟  
: ولكن أنا ، لم تكن لي أبداً مصالح سوى  
مصالحهم . لأنكم أصبحتم جميعاً قد انطويتم  
على أنفسكم ، وانصرفتم إلى أغراضكم الخاصة ،

الأم

الأب

الأم

فلم يعد لكم اهتمام بسوى أنفسكم وبسوى  
 مطامحكم المثالية التي تفرضون أنى عاجزة  
 عن تفهمها على الوجه الصحيح ، ولكننى  
 أنا ، لم تنطو نفسى سوى على مصالحكم ولا  
 كنت أعنى بغيركم . أعرف أن ذلك لم  
 يكن مدعاة للزهو والفخر ، كل ما هنالك  
 أنى كنت مشغولة ، بهم حانية عليهم ، محبة  
 لهم . وحينما كنت أعد لكم أنتم الخمسة  
 الأطفال ، وجبة من وجبات الطعام ،  
 كنت أشعر كما لو أنى أقوم بواجب دينى  
 مقدس ، أندرو .. أندرو إنه لا علم لك  
 ولا فكرة ، بما أعانيه من المرارة  
 والضيق لموتك .

: إلى آسف جداً يا أماء ..

أندرو

: بل لعلك على حق . أظننى لم أحسن الفهم  
 أبداً - فثلا أبوك قتل ، لأن رأى كان  
 قد استقر على ذبح طائفة من المتوحشين .  
 وأنت قضيت نحبك ، لأنك أردت إنقاذ  
 حياتهم ، أجل ، لعل عقليتى أقصر من أن  
 تبين وجه الصواب فى هذا . كل واحد  
 يفعل عكس الآخر تماماً ، ثم يقال لى

الأم

إن كلا منهما له أهداف سامية ومطامح عالية لا يدركها فهمي . أحذكما يني صرحاً والآخر يهدمه . وبعد ذلك تقولان إن هذه يا أماه أعمال مجيدة هامة ، لا بد لنا من القيام بها ولو دفعنا الحياة ثمناً لها . إن من السهل عليكما أن تتكلما بهذه الصورة ، إن الموت سهل أمره ما في ذلك شك ، ولكن فقدان زوج وابن - لو أن ذلك حدث لكما لعامتما ما ليس لكما به علم .

أندرو : لعلك على صواب في هذا يا أماه .

الأم : ماذا يهني من الصواب وعدمه إذا لم أستطع أن أستعيدك إلى . ما كان ينبغي لك أن تموت يا أندرو . إنك كنت ولدأ بارأ رحيم القلب مفكراً ، وكنت على وشك الزواج أيضاً ، كان ينبغي لك أن تزوج - لعل ذلك شيء أحسن فهمه يا أندرو ؟

أندرو : أجل يا أماه ..

[ يسمع صوت طلقين ناريتين آتين من الهديفة ]

الأب : [ يرفع رأسه ] ما هذا .. ؟

- الأم : لاشئ ذأهمية ، إنهما يطلقان النار على هدف .  
 إنهما التوأمان كرسدوفر وبيتر .
- الأب : عظيم جداً . إن المرء الذى لا يحسن الرماية  
 لافائدة منه إطلاقاً .
- الأم : لن أسمح لتونى بممارسة الرماية يا رتشارد  
 إنه لا يصلح لها بطبعه ، كذلك أندرو لم يكن  
 شغوفاً هو أيضاً بالرماية ، أكنت كذلك  
 يا أندرو ؟ لقد كنت دائماً مكياً على  
 القراءة مثل تونى تماماً .
- أندرو : أجل ، إلا أن القراءة بالنسبة لتونى كالخندر  
 يا أمى ، فهو يتلاشى فيها بشعوره ، حتى  
 ما يكاد يحس شيئاً مما يحيط به ، وهو  
 أمر مضر شكل الضرر .
- الأم : أوه ... ولكنه ما يزال طفلاً بعد .  
 أندرو : أجل ، هذا ما تقولينه عنه دائماً .  
 الأم : هذا لأنه ضعيف البنية .
- الأب : الأوفق أن تشجعيه على أن يمارس شيئاً  
 يكون له منه بعض النفع .
- الأم : لن أفعل ، لن أسمح لتونى وهونى هذه  
 السن الصغيرة أن يملأ رأسه بمثل نظرياتكم  
 وأفكاركم . بل لن أسمح له بدخول هذه  
 الغرفة بعد الآن

الأب : ولمَ لا ؟  
 الأم : لأنك سوف يكون كل همك أن تخضعه  
 لسيطرتك ، تبدأ بالهمس في أذنه . كن  
 رجلاً يابنئ . كن رجلاً . اعمل عملاً مجيداً يليق  
 بك ، ضح بحياتك في سبيل الشهرة والشرف .  
 ضح بها في سبيل قضية الحق - لا . لن أسمع  
 بذلك ، أسمع أنت ... ؟ اترك توفى وشأنه ..  
 الأب : ولكن يا حبيبتي ، يقيناً أنك لا تريد أن يصبح  
 توفى مدللاً خانعاً .

الأم : إني أريده لنفسى ، ليس لك عليه حق  
 أو سلطان ، توفى ولد بعد موتك ، إن توفى  
 ولدى أنا وحدى ، ليس لى فيه شريك  
 ولن أسمع له ابتداء من هذه اللحظة بدخول  
 هذه الحجره .

أندرو : يبدو لى أن أمى تعتقد بأننا رفقة سوء لتوفى  
 الأم : بلى ... بلى إنه لكذلك . لأنكم فى عداد

الأموات [ صوت أميرة نارية فى الهديقة ]

أندرو : أخائفة أنت منّا يا أماه .. ؟  
 الأم : لماذا أخافكم يا ولدى العزيز .. ؟ اقرب

منى يا أندرو ، دعنى أراك ، ليس لديك  
 أية فكرة عن مبلغ لياقتك ، وأنت فى هذه

المريضة البيضاء ، لقد كنت آمل أن أراك  
إلى جانبي يوماً من الأيام عندما نحين  
ساعتي ، ويأتي دوري للتزود من أولادى  
بالنظرة الأخيرة ..

أندرو : لا يا أمى ، لاتقولى هذا الكلام فسوف

تظلين هنا أمداً مديداً ، سوف تبقين هنا  
على الدوام ، إنك تعلمين ذلك حق العلم .

الأب : أمك أقوى بنية مما تتصور [ يسير نحو المائدة التى

عليها رقعة الشطرنج ] من كان يلعب هنا يا حبيبتي

التوأمان ، قالوا إنهما يعالجان لإحدى

مسائلك المعضلة .

الأب : نعم ، أعرف أى مسألة هى ، أذكر

شروعى فى حلها . مسألة ممتعة للغاية .

الأم : لقد تشاجرا بشأنها . كان كرستوفر يريد

من بيتر أن يتحرك إلى مربع د .

الأب : بالضبط ، هذا ما كنت أفعل أنا على كل حال .

الأم : ولكن بيتر قال إن للمسألة حلاً آخر ،

أنت تعرف كيف أن هذين التوأمان

لا يكفان أبداً عن الجدل والنزاع .

الأب : [ شارد الفكر ] حل آخر ؟ وددت لو عرفت

ما هو ، لعل أبناء الجيل الحاضر يلعبون

الشطرنج اليوم بطريقة مختلفة . ترى لو  
حرك البيدق إلى الأمام ، مدهش يجب أن  
أنظر في هذا الاحتمال . قد يكون فيما  
ذهب إليه بيتر شى من الصواب .

[ يدخل جورج من الباب في مشى الهدوء والسكون  
مرتدياً زى طيار ]

جورج : أسعدت مساء يا أمى ، كيف حالك يا أبى؟  
أهلاً بك يا أندرو .

الأب : [ مستندراً نحوه ] تبارك الله . إنه جورج ..

أندرو : كيف حالك يا جورج ؟

الأم : لماذا عدت بهذه السرعة ، أكنت تطير اليوم  
يا جورج . . ؟

جورج : أجل يا أمى ، والحق أن الجو كان ملائماً  
كل الملازمة اليوم للطيران .

الأم : إننى سعيدة بعودتك إلى البيت ، إننى  
لا أحب انصرافك إلى هذا الطيران ، إننى  
أخشى عليك منه ، ولكن حمداً لله على  
عودتك السريعة . .

جورج : بدمي أن أعود إليك مباشرة يا أمى .

الأب : حسناً فعلت يا بنى ، هذا عين الصواب ،

لأنني معجب بزريك الجوى ، فهو ملائم  
لك كل الملائمة .

الأم : [ ومي تنفس واقفة في اضطراب ووجل ] على  
رسلك يا جورج ، أنت ترى أباك وأندرو ..  
جورج : طبعاً أراهما يا أمي .

الأم : ولكنهما ميتان يا جورج ، كيف تستطيع  
أنت أن تراهما .. ؟ كيف تستطيع أنت  
أن تتحدث إليهما يا جورج ؟

جورج : بلى . إن الذي حدث يا أمي ، ولكن  
لا تغضبي عليّ ، كل ما في الأمر أن  
الطائرة أصيبت بخلل .

الأم : أتعني أنه قد وقع لك حادث .. ؟  
جورج : لم أشعر بألم البتة يا أمي . انبتر جناح  
الطائرة و .. .

الأم : إنك تخفي عني أمراً يا جورج .

جورج : لا تغضبي يا أمي . ولكنني هلكت

الأم : أنت ! .. أنت !

جورج : أرجوك يا « ماما » ، لا تكدرى خاطرك .

الأم : إذن . أنت ميت يا جورج

جورج : نعم يا أمي ، أنا ما يسمونه ميتاً  
الأم : [ومرثناً] آه يا ربي ، جورج ولدي  
الصغير الحبيب .

أندرو : تمالكى روعك يا أماه . لا تكدرى نفسك .  
الأم : هأنذا يا جورج قد ذهبت لمقتلك . لقد  
فقدتلك .

الأب : يجب أن تتحملي المصائب بشجاعة . وإن  
من دواعي الرضا والفخر أنه مات ميتة  
الأبطال ، ميتة رائعة مشرفة .

الأم : [وكانها قد استعالت حجراً] ميتة رائعة !  
هأنذا تنطلق من جديد يا رتشارد . . .

جورج : الواقع يا أمي ، أن ما حدث لم يكن غلطة  
أحد من الناس . كنت أحاول عملية  
عسيرة بعض العسر عندما طرأ الخلل على  
الطائرة . والحق أنني أنا نفسي لا أعرف  
كيف وقع الحادث ولا سبب وقوعه .

الأم : آه يا ولدي .  
[تفرق في فوئيل وتأخذ في البكاء]

أندرو : دعوا أمتنا تستنزف عبرتها . سوف نشعر

بشيء من الراحة بعد ذلك [ يظل وانفاً إلى  
جانبا ]

الأب : [ ماللا بجورج إلى ناحية ] ما نوع المحاولة التي  
كنت تقوم بها يا جورج ؟ . .

جورج : ضرب الرقم القياسي للارتفاع يا أبي  
بشحنة زنتها ألف وخمسمائة كيلو جرام .

الأب : وهل للأرقام القياسية في مثل هذه المحاولة  
قيمة ذات خطر . . ؟

جورج : نعم يا أبت ! فعنى هذا أنك تستطيع في زمن  
الحرب أن تحلق في الجو إلى أقصى ما يمكن  
من الارتفاع بأثقل شحنة ممكنة من القنابل .

الأب : فهمت ، هذا أمر له قيمته وخطره فعلا .

جورج : أو استخدام الطائرات للنقل الجوي ، إذ أنك  
عندما تحلق على هذا الارتفاع تكون  
بأمان من الزوابع والسحب ، وهو أمر على  
جانب كبير جداً من الأهمية والمنفعة .

الأب : وإلى أى مدى ارتفعت ؟

جورج : إلى أكثر من ستين ألف قدم بقليل ،  
وعندئذ بدأت الطائرة تعجز عن مواصلة  
الارتفاع .

الأب : أهذا رقم قياسي ؟  
جورج : نعم يا أبت . إنه يعتبر رقماً قياسياً عالمياً في  
مثل هذه الظروف .

الأب : هذا عظيم يا بني . إنني مغتبط كل الاغتباط .  
جورج : إلا أنني حينما سقطت تحطم كل شيء ،  
وأخشى ما أخشاه أن مقياس الارتفاع قد  
تحطم أيضاً وهو أمر يؤسف له .

الأب : لماذا ؟  
جورج : لأنه لن يتيسر لأحد معرفة حقيقة مدى  
الارتفاع الذي وصلت إليه .

الأب : لا أهمية لهذا . وإنما الذي يهم هو أنك  
وصلت إلى هذا الارتفاع .

جورج : وأي فائدة في هذا إذا خفي أمره عن الناس .  
الأب : ولكنك حققت هذه الغاية بالفعل ، وهذا  
هو أهم مافي الموضوع . من كان ينتظر منك  
مثل هذا العمل الحميد ؟ أنت الذي طالما  
كنت دائماً أبدأ شغوفاً بالألعاب الصغيرة ،  
من حقت على يابني أن أهنتك .

الأم : [ تتأوه نادبة ] آه ! يا جورج ، يا ولدي  
الصغير الحبيب .

الأب : كفاك نواحا يا حبيبتي - لقد كان عملاً  
مجيئاً يستحق المجازفة . فكُنْفي عن البكاء  
وفكري في أمر الجنائز ، وما فيها من  
مضايقات .

جورج : لا يجب أن تنظري إلى ، حينها يأتون بي إلى  
هنا ، فالذي يأتون به إلى البيت لن يكون  
شخصي . إنني هنا وسأكون دائماً كما كنت  
وكما عرفتي ، ولن ترينني على غير الصورة  
التي عرفتي بها على الدوام يا أمي ، أليس  
كذلك ؟

الأم : لمَ لم تخبرني بأنك كنت تنوي أن تحلق  
إلى هذا الارتفاع الشاهق ؟ لو علمت لما  
تركتك تذهب .

جورج : لم يكن بد من الذهاب يا أماه . لذلك لم  
أحاول أن أخبرك .

الأم : ما أعجب الفكرة التي تسلطت على عقلك .  
لأي شيء كنت تريد ضرب الرقم القياسي  
هذا . ؟

جورج : عند ما يكون للإنسان مثل هذه الطائفة

الفريدة الفلدة ، تعين عليه أن يستعملها  
على هذا النحو يا أمي . ولكن أنت  
لا تفهمين هذا . فالإنسان يستطيع أن  
يخدم نفسه ومصالحه ....

[ يسمع دق على الباب ]

الأب : [ يطفى المصباح الموضوع تحت ميورته فيقل الضوء  
في الغرفة ] تمالكى أعصابك ، واستعيدى هدوءك  
يا حبيبتي .

الأم : ولدى جورج . ما كان أظييه ولداً .  
لماذا - لماذا - ؟

[ يتكرر الطرق على الباب ]

أندرو : [ هامساً ] احتفظي بهدوثك يا أماه . يجب  
أن تكوني قوية رزينة .

الأب : [ هامساً ] إلى اللقاء يا حبيبتي [ يستمر الطرق ]  
الأم : [ نامسة ] ادخل

[ يظهر كرستوفر في مدخل الباب ، الذي يدمره  
ضوء النهار ]

كرستوفر : عفواً يا أماه . كان بودى ألا أزعجك .  
ولكن ثمة أمراً لا بد من أن أفضي إليك به .

الأم : نعم - ما هو ؟

كرستوفر : سمعنا الأبناء من لحظة قصيرة . أصيب

چورچ في حادث طيران . ولكن لانزعجى

يا امى . ليس الحادث بالامر الخطير ..

: ثم ماذا ؟

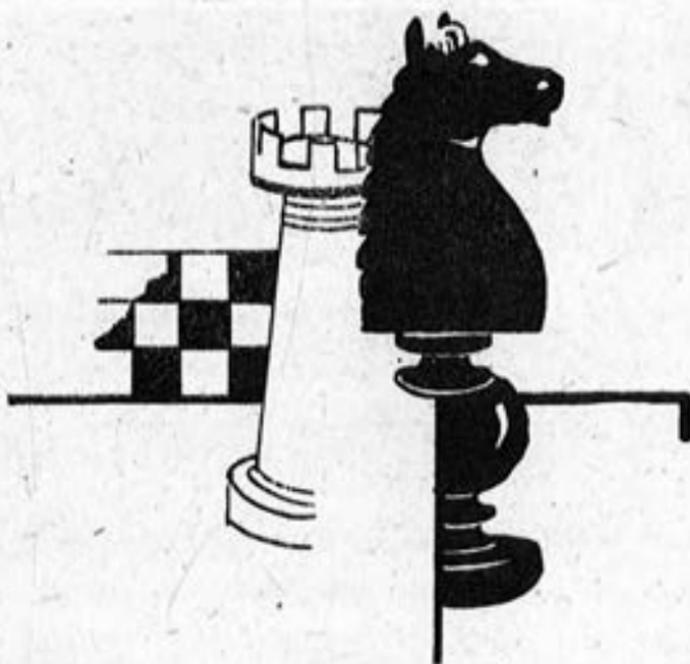
: ان چورچ .... ولكن اعتقد يا امى أنك

قد علمت بالنبا .

الأم

كرستوفر

يسدل الستار



## الفصل الثاني

[ الحجرية عنها بإضافة جهاز الراديو ]

توفى : [ أراكم إلى جانب الراديو ]

يدبر مفتاحه. يسمع مارش  
عسكري . توفى يهذي  
علامات استنزاز لدى  
سماعه ، ويواصل إدارة  
المفتاح . ويسمع صوت  
المدبغ يعلن [ . . . ]

صوت المدبغ : لدى خبر هام أعلنه عليكم .

توفى : هذا صوت يا كرستوفر . إنه أشبه ما يكون بصوته

صوت المدبغ : على جميع المواطنين أن يعملوا على صيانة

الأمن والنظام . ونحذرهم تحذيراً شديداً من

التجمع في الطرقات العامة ، وإلا أخذهم

الشرطة والسلطات العسكرية بمنتهى الصرامة .

[ يواصل تحريك صمام الراديو . يسمع صوت

موسيقى هادئة آت من بعيد ، يركع توفى على ركبته

مستمعاً ومتابعاً الصوت بتوقيع رتيب من يده ]

[يدخل كرسنوفر في زي شبه عسكري . حذامان  
طويلان من أحدى الفرسان ، وبنطلون لركوب الخيل  
وجاكتة مزينة بالشارات ]

كرسنوفر : اقبل هذا الراديو يا توفى — إنك تعلم جيداً  
أن أمتنا لا تحب أن يستعمله أحد منا ، لأنه  
يلدكرها بهجورج .

توفى : استمع لحظة يا كرسنوفر — أليس هذا بديعاً ؟  
كرسنوفر : بلى ، ولكن ليس الوقت وقت سماع مثل هذه  
الأشياء . اقبل الراديو . إننى لا أحتمل صوته .

توفى : [ يقفل صمام الراديو ويستمر راکماً ] آسف .  
إنها كانت محطة أجنبية ، لست أدرى أيها  
كانت ، ينحبل إلى أنها في اسكندناوه . فقد  
كان للصوت صدى جليدى .

كرسنوفر : أوه . كف عن هلدرك . إنك دائماً تتخيل  
شيئاً أو آخر . [ يشعل سيجارة ويدرع الحجره  
جيشه وذهاباً في اضطراب ظاهر ]  
ما أسوأ أن أضطر إلى البقاء هنا كالسجين .  
[ ينظر في ساعة معصه ] سوف ينصرف العمال  
من مصانعهم وشيكاً في أى لحظة الآن ...  
قد تقع بعض الأحداث . يا لله ، كم وددت  
لو أننى وسط المعصه . [ يقف بجانب النافذه  
يردف السمع ] .

- توفى : استمع لى يا كرس  
 كرسنوفر : ماذا تريد ؟  
 توفى : ماذا حدث لپير ؟  
 كرسنوفر : لا أدرى . لقد قبض عليه . ما كان  
 ينبغى له أن يتدخل  
 توفى : ولكنك أنت تدخلت يا كرس  
 كرسنوفر : أجل ، ولكن إلى جانب الفريق الآخر .  
 وهذا هو الفارق الكبير .  
 توفى : كيف ذلك ؟  
 كرسنوفر : إن فريقنا يمثل القانون والنظام وصالح  
 الوطن . ولكنك حدث السن ، لا تستطيع  
 فهم هذه الأمور يا توفى . ولك أن تحمد الله  
 على ذلك ، فإنه من حسن حظك .  
 توفى : كان پير يكافح من أجل مصلحة الوطن  
 أيضاً . ولكن ذلك لم يمنعهم من إلقاء  
 القبض عليه .  
 كرسنوفر : لأن نظرياته عن مصلحة الوطن كانت  
 خاطئة من أساسها . لقد توهم أن فى  
 الاستطاعة أن نحمكنا حفنة من السوقة  
 الأندال . ماذا يكون مصيرنا لو تم لهم ما أرادوا ؟  
 لقد كشفوا عن حقيقة نواياهم ومبلغ

كفاهتهم ، بما أتوه من إسراف في النهب  
والسلب والانتقام بدافع الخزازات القديمة .

[ يسحق سيجارته بين أصابعه ]

لو تم لهم ما أرادوا ، لأنهار بناء الوطن ، وتقوضت  
معامله يا توفى .

توفى : ولكن بيتر تصرف بحزم ، ووضع حداً  
لنهب والسلب .

كرستوفر : هذا منتهى الغباء . لقد كان يرجو أن  
يؤلف حكومة من هؤلاء الرعاع الأجلاف .  
تدير دفعة الأمور في البلد لا لا نستطيع  
أن نسمح بهذا أبداً .

توفى : من تعنى بنحن ؟

كرستوفر : فريقنا ، نحن ، الأمة . فلو أن تلك الفئة  
قبضت على أعنة الحكم بعقليتها المريضة  
ونظرياتها السقيمة عن السلام والتصالح  
السلمي والمساواة ، لأنهار بناء الوطن يا بني .  
أف لم . إن كل ما يسعون إليه هو خيانة  
صريحة للأمة . لأنهم يريدون تسريح  
الجيش ، والسيطرة على جهاز الحكم  
والإدارة ، واغتصاب المصانع وانتزاعها  
من أصحابها - لا شيء أقل من هذا .  
أليس في هذا القضاء المبرم على كل ما نعز

به في الحياة ؟ لا يا بيتر ، يا عزيزي ، نحن  
لن نسمح لبناء الوطن أن ينهار ، وأن تتفوض  
معامله على هذه الصورة . لقد آن الأوان  
لأخذ أولئك المتشدقين بالعبارات الرنانة  
الجوفاء ، هذه الخراييج المتقيحة بما  
يستحقون من عقاب . ولكن ما لي أسترسل  
معك يا توفى في الوعظ والإرشاد .

توفى : [ يهز واقفاً ] . استمع لي يا كرس

كرستوفر : ماذا استمع لك ؟

توفى : ماذا سيحدث لبيتر ؟

كرستوفر : [ يهز كتفيه ] ليس ثمة ما نستطيع أن نعمله

من أجله . وليس أمامنا الآن سوى أن

ننتظر ، لقد قبض عليه رجالنا ، وهو في

الوقت الحاضر معتقل .

توفى : كمجرم ؟

كرستوفر : كرهينة ، ولكن لا تقلق لذلك ، فلن

يصيبه أى سوء هناك . أما إذا عاد الحمر

إلى إطلاق النار في الشوارع ، فلن أكون

مستولاً عن النتائج .

توفى : أيقتلون بيتر رعباً بالرصاص في هذه الحال ؟

كرستوفر : أنا شخصياً . ما كنت لأفعل هذا .

ولكنك تعلم يا توفى أن الحرب هي الحرب ، كان يجب على بيتر ألا يدخل في شيء من أمر هؤلاء القوم ، ولا حاجة بي إلى أن أقول لك بأن أى سوء يحدث لبيتر سوف يحزننى غاية الحزن . فلو أن هؤلاء الصعاليك وضعوا السلاح لأطلق رجالنا سراح بيتر ومن معه من الرهائن . هذا هو الموقف فى الوقت الحالى .

توفى : [بعينين خالفتين] تصور يا كرس ، تصور كيف يكون شعور بيتر . كيف تظل عيناه شاخصتين نحو الباب مترقباً فتحه فى أية لحظة . - قم معنا - إلى أين ؟ قم ، عجل ولا تسأل ، فسوف ترى .

كرستوفر : على رسلك لحظة [هنمت] مامن صوت يسمع . من حسن الحظ أن إطلاق النيران قد توقف . لو أطلقت رصاصة واحدة لسامت الأمور يا توفى . لأنهم لن يجدوا حينئذ من فريقنا أى أثر للشفقة أو الرحمة . إن الحمر أنذال جبناء ، ويبدولى أنهم تفهقروا ، وأيا كان الأمر فسوف يعرف بيتر أى نوع من الرجال أولئك الذين

سمح لنفسه أن يربط مصيره بمصيرهم .  
 ادفع أمامهم مدفعاً رشاشاً ، وسوف ترى  
 كيف يطلقون سيقانهم للريح كالأرانب .  
 أسمع شيئاً ؟ ليس ثمة صوت إطلاقاً .  
 معنى هذا فيما أظن أن الفريقين قد تهادنا  
 وأنهما توصلا إلى اتفاق فيما بينهما ، ولكن  
 قتلتني الله إذا أنا استطعت أن أفهم كيف  
 يمكن لأحد كائناً من كان ، أن يهادن  
 مثل أولئك الأجلاف ؟

توفى : كرس ، أبو ثقون يدي الإنسان ؟

كرستوفر : من ؟ متى ؟

توفى : عندما يسوقونه إلى ساحة الإعدام

كرستوفر : طبعاً . المنطق يقضى بأن يوثق جيداً منعاً

للحركة ، ولكن لم تسأل ؟

توفى : [ يضع يديه وراء ظهره كما لو كانتا مشدودتين إحداهما

إلى الأخرى ] أتدري ؟ إنني أكاد أتخيل كيف

يكون شعور من يواجه الفرقة المكلفة

بإطلاق الرصاص عليه ؛ فهو يحاول أن

يستشف ما وراءهم من فوق رؤوسهم ،

ثم لا يلبث أن يشعر كما لو أن ريحا باردة

تسرى في فروة رأسه . لم يحن الوقت بعد .

دقيقة أخرى - نار . يا لله !

- كرستوفر : صه .  
توفى : [ يصرخ ] أيها الأوغاد ، أيها الأوغاد  
الملاعين .  
[ يتروح ثم يسقط على ركبتيه ]  
كرستوفر : [ يسك بكتفيه ويهزه ] كفناك تمثيلاً . توفى  
إن لك خيالاً مريضاً .  
توفى : [ يحجب عينيه بيديه وينهش واقفاً ] كرس ،  
كيف يمكن أن يكره الإنسان أخاه الإنسان  
إلى هذا الحد ؟  
كرستوفر : إنك أصغر سناً من أن تفهم ذلك . أنت  
لم تتعلم بعد معنى الثبات على المبدأ ، والمكافحة  
في سبيل إعلاء كلمته حتى الموت ، وأن  
تبدل من أجله ما لا تفكر أبداً في بدله من أجل  
نفسك . إن العلة فيك يا توفى ، هي أنك شديد  
الحساسية . وما ذلك إلا لأن أماننا قدلك  
أكثر مما يجب وما يصلح لك .  
توفى : كيف ذلك ؟  
كرستوفر : لأنها تنشئت نشأة غير سليمة . وإذا هي  
استمرت على هذه الحال ، فلن تبلغ من  
صفات الرجولة ما يوهلك للنضال في

سبيل شئ أبداً . صحيح إن السلام والإخاء  
 العالمى ، وما إلى ذلك كله مبادئ جميلة  
 جداً . أعرف ذلك كل المعرفة . ولكن  
 عصرنا لا متسع فيه لمثل هذا المنطق من الكلام  
 يا تونى . فأمامنا اليوم ما هو أكبر وأعظم  
 من هذا ، إذ علينا أن نكون دائماً على  
 أتم استعداد لمواجهة كل ما قد يدهمنا  
 مما لم يكن فى الحسبان . فإذا ما حدث  
 شئ أخطر ، فلا ينبغى لأمتنا أن تعرف عنه  
 شيئاً . بل يكفى أن تقول لها إنه مقبوض  
 عليه . أفهمت ؟ الظاهر أنهم قد تفهقروا  
 حقاً ، على ما يبدو لى على الأقل . لعل  
 أولئك الحمر الملاحين قد استسلموا ، وهذا  
 هو سبب هذا الهاو والهوير . عليك أن تبقى  
 هنا ، ولا تبرح مكانك يا تونى .

تونى : وماذا عنك أنت ؟

كرستوفر : [ مازاً كنفه ] من واجبى أن أكون هناك  
 مع زملائى . كل ما أتمناه على الله أن  
 أكون موجوداً معهم ، إذا تجددت المعركة .  
 ما أشد ما يعتربنى من السأم لبقائى سجيناً  
 فى البيت هكذا . ولكن ما حيلتى . وأنت

تعلم أن أمتنا مصابة بضعف في قلبها ، فلو  
أفلت الزمام من أيدينا لكانت العاقبة وبالا  
علينا . ولا يعلم إلا الله إلى أي مدى قد  
يذهب هؤلاء الطغام في الفوضى والتخريب ،  
لذلك لم يكن بد من أن يبقى أحدنا بالمنزل  
لحمايتكم والدفاع عنكم . [ يتناول مسدساً من  
أسد الأدرج ، وهو مول ظهري لتوفى فيحشوه  
بالرماس ثم يميده إلى الدرج ] إلى أي أعلم في أي  
مكان كان يجب أن أكون ؟ ولكن لا ينبغي  
لأمتنا أن تعلم بأن الموقف قد بلغ هذا الحد  
من التحرج والخطورة يا توفى . وها أنا باق  
هنا بالمنزل من أجلها ، ومن أجلك أنت  
أيضاً ، إذا اقتضى الأمر . [ تدخل الأم

: أين بيتر يا كرس ؟ لم لم يعد حتى الآن ؟  
إنك أخبرتني في الصباح أن الأمر لا يعدو  
أن يكون التباساً وسوء فهم ، وأنهم لا بد  
مطلقون سراحه في المساء . أسمع أنت  
ما أقول يا كرس ؟

كرستوفر : بلى يا أمي ، ولكن ليس في الاستطاعة أن  
تصرف الأمور بمثل هذه السرعة ، إذ من  
المحتمل أنهم قد ألقوا القبض على مئات

من الناس . وقد يستغرق الأمر أسبوعاً  
أو نحو ذلك ، قبل أن يقطعوا برأى في كل  
حالة على حدة .

الأم : أسبوع ؟ أتعني أنهم سيتصرفون مع بيتر  
هذا التصرف . إنني لن أدعهم يفعلون  
ذلك . سوف أذهب ، واكشف لهم عن رأبي  
في تصرفهم هذا .

كرستوفر : لا تفعل هذا يا أمي ، فإنهم لن يأذنبوا  
لك حتى في الدخول .

الأم : لن يأذنبوا لي في الدخول . ماذا تقول ؟  
إنني ذاهبة لأحمل إلى بيتر بعض الملابس  
النظيفة ، وشيئاً من الطعام . إن أحداً لن  
يستطيع أن يمنعني عن ذلك . إن هذا من  
حق كل أم .

كرستوفر : لا بد لك من أن تنتظري بعض الوقت  
يا أمي . فالشوارع والطرقات مقفلة ،  
والجنود يمنعون المرور فيها ، وما من أحد  
يسمح له بالدخول إلى الأحياء الرئيسية .

الأم : ولكنهم لن يمنعوا الأمهات عن المرور فيها .  
سوف أخبرهم بأنني أحمل شيئاً لولدي .

لابد لي من رؤية بيتر . يجب أن أعرف  
في أية حال هو . ليس بيتر بمجرم حتى  
يعتقلوه . لتكون على ثقة من أنني سوف  
أكشف لهم عن رأيي فيهم . سوف أخبرهم  
بأنه لاحق لهم في إيداع ابني غياهب  
السجون .

كرستوفر : حسن كل هذا يا أماء ، ولكن من حقهم  
أن يتصرفوا بهذا التصرف .

الأم : ماذا ! أبيت مجرم ؟ أساء إلى أحد في حياته ؟

كرستوفر : لا يا أمى إنه ليس مجرماً ، لا أحد يرميه  
بذلك .

الأم : إذن نحن متفقان . وما دام الأمر كذلك  
فلا حق لهم في إلقاء القبض عليه ، وحبسه  
لغير ذنب ولا جرم .

كرستوفر : أتدرين يا أماء . لا أظنك قد فهمت الأمر  
على حقيقته .

الأم : أعلم ذلك . توفى ، أرجو أن تركني وحدى  
مع كرس . ليس ما يدعو إلى أن تسمع  
سخف مقالى .

[ ينسحب توفى متلكتاً ]

الأم : إنني أحاول أن أفهم كل شيء يا كرس .

ولكننى لا أفهم كيف يستعمل أحد أن يقبض على ابنى ، وهو لم يسنى لى أحد أبداً ؟ هذا هو ما لا أفهمه ولا أكاد أتصوره .

كرستوفر : إننى آسف يا أمى ، ولكنك غير مدركة على ما أرى أننا فى عمرة حرب أهلية .  
الأم : وماذا لو كنا فى عمرة حرب أهلية ؟ أمى ضرورة لا معدل عنها .

كرستوفر : نعم ، لأن الأمة منقسمة لى حزبين ، ولا يمكن أن تحكم البلاد إلا بواحد منهما فقط . لذلك لم يكن بد من القتال لاستبعاد أحدهما .

الأم : وهل هذا هو السبب الذى من أجله تطلق المدافع والبنادق ؟

كرستوفر : نعم هذه هى الطريقة الوحيدة  
الأم : وهل مسألة من يتولى الحكم حيوية بالنسبة لهم لى هذا الحد ؟ أما لهم أهل وعائلات ، أليس من واجهم أن يفكروا فى أهلهم وذويهم ، وما لهم عليهم من حق الرعاية ؟  
كرستوفر : ليست الأسرة هى كل شئ .

الأم : إنها كذلك بالنسبة لى باكروس ، ولا تقل لى إن بيتر أراد أن يفرض سلطانه على أى مخلوق

كائناً من كان . إننى أعرفه كل العرفان ،  
فهو لا يستطيع أن يصيب أحداً بسوء حتى  
ولو كان ذبابة أو حشرة من الحشرات .  
أنت يا كرس قد تقدم على ذلك ، أما  
هو فلا . وليس من طبعه أن يتطلع إلى  
السيطرة على أحد من الناس أبداً .

كرستوفر : هذا لا يغير الواقع يا أمى . فحزبه يريد أن  
يفرض سلطانه على الأمة ، ويغير الأوضاع  
القائمة بوجه عام حسبما يترأى له . ولو تم  
ذلك ، لكان كارثة عظمى وبلاء شديداً للوطن ،  
فهم عصابة من مجرمين وخونة يا أمى ،  
لأنهم يودون أن يقلبوا البلاد رأساً على  
عقب ، حتى تنبأ لهم الفرصة للنهب والسلب  
: آه . لا يا كرس ، لا تنقل لى ذلك . أنا أعرف  
الناس ببيتر ، إنه ليس بمن يعاشر مثل هذا  
الطراز من الناس ، ولا أنت يا كرس . أنت  
لا تعامل المجرمين والخونة . إننى على ثقة  
بما أقول .

كرستوفر : غلطة بيتر ، وثوقه بالناس وهو مغمض  
العينين وفي غير تحفظ .

الأم : بالطبع ، لأنه ما يزال حدث السن . أما

أنت فلم تكن حدثاً مثله بطبعك ، ولا ميالاً  
إلى معاشرّة الناس يا كرس . إنك لم تكن  
تصادق الناس بسهولة ، بل كنت عزوفاً  
متعالياً . على أن بيتر لم يكن ؛ بل أبداً  
إلى مصاحبة شرار الناس .

كرستوفر : بمعنى هذا أنني كنت أصحابهم يا أمي !  
خلاصة القول : هو إما أن يكون بيتر  
وفرقتة على حق ، وإما أن نكون نحن على  
حق ، ففريق منا لابد أن يكون أفاكاً زائفاً  
إلى أبعد الحدود .

الأم : إنني على يقين من أنك لست كذلك .  
ففيك إباء وشهم . وأنت أرفع من أن  
تأتي شيئاً يتنافى مع الكرامة والشرف .

كرستوفر : يسعدني أن يكون هذا رأيك في تصرفاتي  
يا أمي . والآن دعيني أؤكد لك بشرفي أن  
بيتر انحاز إلى جانب الفريق الخطي ، وأنه  
لا مناص لنا من القضاء على هذه العصاة  
لصالح الأمن والنظام .

الأم : أجل يا بني ، ولكن هل كان حتماً عليهم  
أن يقبضوا على بيتر لصالح الأمن والنظام ؟

كرستوفر : أجل يا أماء . إن انخيازه إلى هذا الفريق  
قد أفضى إلى ذلك .

الأم : إذن هذا عار كبير يا كرس . إنهم أبعد  
من أن يكونوا على الصواب إذا هم استحلوا  
القبض على بيتر .

كرستوفر : لو سنحت الفرصة لبيتر يا أمى لأمر باعتقالى  
بيتر !

الأم : كرسستوفر : أعنى تلك الفئة من الناس الذين ينتمى  
إليهم .

الأم : فقط إذا كانوا حمقى وأوغادا . أرجو

ألا يكون لك من التوايا ما ينطوى على  
الشر يا كرس . وإلا فكيف يمكن أن  
يقدموا على اعتقالك ؟ إنه يكون ظلماً  
لا يقل عن ظلم الدين اعتقالوا بيتر . إنهم  
قوم أشرار يا كرسستوفر . أشرار غلاظ  
الأكباد لا عقل لهم ولا إدراك . يا لله !  
كم وددت لو أنى لطمت وجوههم .  
على رسلك يا أماء .

كرستوفر : إننا لا نستطيع أن نتركه حيث هو موجود  
الأم : يا كرس . لا بد لك من أن تساعدنى  
بصورة أو أخرى . أترى أنهم محتفظون

به هناك لعدة أيام أخرى ؟  
كرستوفر : قد يكون الأمر كذلك يا أماه ، ولكنهم  
لا بد مطلقون سراحه بعد ذلك . إنى لا أسمع  
جلبة فى الخارج الآن . سينتهى كل شئ  
غداً . سوف ترين .

الأم : وعندئذ تذهب معى لإحضار بيتر ؟  
كرستوفر : نعم يا أماه .  
الأم : أما أستطيع أن آخذ له شيئاً اليوم ؟  
كرستوفر : لا ، ليس اليوم يا أمى .

[ صوت بعض طلقات ناراية آت من بعيد . والظلام  
يزداد ]

الأم : ما هذا ؟  
كرستوفر [ متلهللاً ] لاشئ ، طلقات فى شارع من  
الشوارع التى تقع على مبهدة كبيرة من  
هنا . اسمعى يا أمى . لا ينبغى لأحد أن  
يترك الدار .

الأم : ولكن لا بد أن يكون بيتر فى انتظارنا .  
كرستوفر : أما تكفين عن الكلام فى موضوع بيتر .  
إنه ليس الوحيد الذى يستوجب الاهتمام  
بأمره .

الأم : أتعنى أن شيئاً قد يحدث لتونى أو لك ؟

كرستوفر : آسف يا أمي ، ولكن يبدو لي أنك لم تفهمي ،  
إني كنت أفكر في وطننا .  
[ صوت طلقات نارية بعيدة ]

الأم : كل ما أتمناه ألا يصاب پيتر بسوء .  
كرستوفر : [ وهو يتسرع من النافذة ] كل ما أتمناه ألا  
يصيب الوطن مكروه يا أمي . ففي مكان ما  
في الخارج تقف فرقة من فتياننا البواسل ،  
ولست مستطبعة يا أماه أن تتصوري مبلغ  
شجاعتهم . إنهم زهرة فتياننا المختارين ،  
كلهم من الرماة المعدودين ، وإنهم لأول  
من يخوض غمار المعركة حينها يحين الأوان ،  
وسوف يتلفت كل منهم إلى أخيه متسائلا .  
أين كرس ؟ هاإنذا . إنني لا أستطيع  
الانضمام إليكم . . لا بد لي من البقاء هنا في  
الدار . لا بد من بقاء واحد منا هنا خشية  
حدوث ما لم يكن في الحسبان . وافقتكم  
السلامة أيها الزملاء ، ولكن لا تعتمدوا علي .

الأم : كرس ، ماذا دهالك ؟  
كرستوفر : لاشئ يا أمي . لا تخشى بأسا . إنني باق هنا  
معك ومع توني . لأنه إذا جدّ شئ في  
الشوارع والطرقات ، فلن يخلو الأمر من

تسلل بعض الأوغاد من طعام الناس  
وسوقتهم إلى المنازل ، لاعليك يا أمي ،  
لا تخشى بأسا . سوف أبقى هنا في الدار .

[ يتقدم نحو رف البنادق ]

عم : تبحث ؟

الأم

كرستوفر : عن بندقية أبي . البندقية التي كانت معه في  
إفريقيا . لقد حان الوقت لتنظيفها مرة  
أخرى تنظيفا تاما .

[ يتناول البندقية من الرف ]

الأم : ولكنني أنظفها وأزيل عنها الغبار كل يوم .

الأم

كرستوفر : أنت لا تفهمين السر يا أمي . إن كل بندقية

كرستوفر

تفتقر إلى شيء أكثر من مجرد التنظيف

وإزالة الغبار . إنه يعوزها الاستعمال من

حين لآخر ، وانطلاق الرصاص منها .

[ يضع يده على كتف أمه ] لا تقلقي يا أماه ،

كل شيء سيكون على مايرام !

: ويعود لي بيتر ؟

الأم

: بلى ، بلى يا أمي .

كرستوفر

[ يخرج ]

: [ وهي تتبسم بنظرهما ] أعرف أنك لم تبيع لي

الأم

بالحقيقة يا كريس .

[ تسير في الحجر مرتبة محتوياتها . تسمع طلقات  
نارية عديدة من بعيد ]

: رباہ ، ليتنى كنت أعلم ما يحدث لبيتر .

الأم

[ ترمى في فوئيل ويدها مشتبهتان ] اللهم احفظ

ابني بيتر ، وارعه واكلاؤه بعنايتك . أشفقنى

على أيتها السماء ، يا أم الرحمة ، واحمى ولدى .

أضرع لإليك يارب ، أعد إلى ابني . يا إله

السموات ، ارحم أولادى .

[ يظهر بيتر في مدوه وسكون على عتبة الباب ،

مرتدياً بتطلوناً وقميصاً مفتوح الصدر . وقد انتشر  
الظلام أو كاد ] .

: [ تفلز واقفة ] بيتر ، أو أطلقوا سراحك ؟

الأم

: هم ا لا ا ولكننى فرغت منهم يا أمى .

بيتر

: [ متقدمة نحوه شدد ما جزعت عليك .

الأم

اقترب منى يا بيتر ، يا حبيبى .

: [ مبتعداً ] لا يا أماه . ابقى حيث أنت .

بيتر

: [ باسطة يديها نحوه ] ماذا بك يا ولدى العزيز ،

الأم

وأين سترتك ؟

: [ وهو يبتعد عنها ] هناك يا أماه . سوف

بيتر

يرسلونها إليك ؟

السترة وجميع الأشياء الأخرى . إنهم  
يراعون قواعد النظام بكل دقة وصرامة .

: من تعنى ؟

الأم

: هم ، البيض ، أما تعلمين . لا تضيئي

بيتر

الحجارة يا ماما . إنى فى غاية الأسف .

لدى شئ يجب أن أفضى إليك به . وهذا

هو السبب فى مجيئى إليك مباشرة . إذ لعل

من الأوفى أن أحمل إليك الخبر بنفسى .

: بيتر ، ماذا حدث [ تحرك يديها فى مواجهته ]

الأم

اقترب منى يا بيتر .

: [بهتد] . يجب ألا تغضبي علىّ يا أمى ،

بيتر

ولكننى فى الواقع لم أستطع أن أتفادى الأمر .

ولا استطاع كرس أيضاً .

: ما الذى لم تستطع أن تتفاداه ؟

الأم

: سبحان الله يا أمى — أما أدركت ما أعنيه

بيتر

حتى الآن . ما أبطأ فهمك . لم يكن من

الأمر مفر ، بل كان هذا هو المتوقع —

ولقد علم كرس بما سوف يحدث قبل

وقوعه ، ولكن أياً ما كان الأمر ، فقد وقع

المحظور وطويت صفحته .

: [رمى زرداد ملأ] ما الذى وقع ، وطويت

الأم

- صفحته يا بيتر ، يا حبيبي ؟
- بيتر : إنه موضوع تقادم عهده ، وبليت جدته الآن .
- إنه حدث من نصف ساعة مضت يا أمي .
- الأم : ما هو ؟
- بيتر : إنهم قتلوني رمياً بالرصاص .
- الأم : بيتر !
- [ تترنح وتقع على الأرض ] ...
- بيتر : ولكن ، أمي — يا لله — ماذا فعلت ؟ النجدة —
- أما من أحد يأتي لمساعدتي ، أندرو
- [ يأتي أندرو راكضاً من الركن المظلم في الغرفة
- متردباً مرهلة بيضاء ]
- أندرو : ماذا حدث ؟
- بيتر : انظر — أمتا قد ...
- أندرو : [ يركع بجانبها ويحس نبضها ] دعيني أرى ما بك
- يا أمي .
- [ الأب في زيه العسكري يتقدم من الركن المظلم ]
- الأب : ماذا بها . مم تشكو ؟
- بيتر : لا أدري — ولكنها وقعت فجأة إلى الأرض .
- الأب : لم لم تكن أكثر حذراً ؟ [ يركع بجانب الأم ]
- حبيبي ، ماذا حدث لك ؟
- [ يظهر جورج قادماً من الركن المظلم في زي طيار ]

- چورج : مرحباً بك يا أبى . أمرينة أمى ؟  
 [ يفسر المصباح الموضوع على مائدة الكتابة ]
- أندرو : [ وهو ما يزال راكماً إلى جانبها ] إنه قلبها .  
 ضرباته غير منتظمة . مسكينة أنت يا أمى .
- الأب : ليت فى استطاعتنا أن نرسل فى طلب أحد  
 لإسعافها .
- أندرو : لم ذلك ؟ نحن هنا ، أما يكفى وجودنا ؟  
 لأنها لن تفيق من غيبوبتها قبل برهة من  
 الزمن . صدمة عصبية . الأصوب أن  
 ندعها تستريح . أحضروا بعض الوسائل .
- بيتر : [ يحضر الوسائل ] ها هى ..
- أندرو : ارفع رأسها يا أبى [ يضع الوسائل تحت رأسها ]  
 والآن . لا تتحركى يا أمى [ ينفس ] ابتعدوا  
 عنها قليلاً . إنها فى حاجة إلى الهدوء .
- الأب : [ نامقاً ] ما الذى حملك على إزعاجها على  
 هذه الصورة يا بيتر ؟ وماذا تفعل هنا على  
 كل حال ؟
- أندرو : لحظة يا أبت [ يدير بيتر فى مواجهة الضوء  
 ويغمض جبينه ] يا لله ! الرصاصتان الأولى  
 والثانية أصابته هنا . [ يفتح قميصه ويدق على  
 صدره بأسابعه ] . واحد . اثنان . ثلاثة .

يا لله ! هذه الرصاصة اخترقت قلبك تماماً .

: دعنى أرى - إنها أصابت الهدف بالفعل .

عجباً . إنها تكاد تشبه - أذكر مرة أننا

وضعنا عدواً أمام ثلثة من الجنود لإطلاق

النار عليه . رباه ! من أين جاءتك هذه

الرصاصة ؟

: من الكتيبة التى كلفت بإعدامى .

: أتعى أن الجيش أعدمك رمياً بالرصاص

يا ولدى .

: نعم يا أبى .

: أبتهمة الخيانة يا بيبتر ؟

: لا يا أبى - لأننى انحزت إلى جانب قضية

عظيمة مشرفة .

: ضد الجيش ؟ إن ذلك لا يبدولى مسلماً

سليماً يا أبى .

: إن من رجال الجيش من كان يقاتل إلى

جانبنا أيضاً .

: رجال من الجيش بين صفوف الفريقين .

: نعم .

: هل انقسم جيشنا إلى فريقين ؟

: نعم يا أبى .

الأب : إن هذا يبدو لي أمراً سيئاً خطيراً يا بيبتر .  
جيشنا منقسم على نفسه . لا بد أنك تهدي  
بعض الهديان يا ولدي . وإلا فلا بد أنك  
كنت جاسوساً يا بيبتر .

بيبتر : كلا يا والدي . كل ما عملته أنني كنت  
أكتب مقالات في الصحف .

الأب : لانهدي يا بيبتر . إنهم لا يعدمونك رمياً  
بالرصاصة من أجل ذلك . نحن لم نكن  
نعلم سوى الجواسيس أو الخونة .

جورج : لقد تغيرت الدنيا يا أبت .

الأب : ما من شك أن الأمر يبدو لي كذلك ؛ حقا  
أعتقد أن لعبيكم قد أصبح لها قواعد  
جديدة :

[ يتحول إلى الأم ] والآن كيف حالها ؟

أندرو : [ ينحن فوقها وهو جالس في مقعده ] إنها ما تزال  
في غيبوبة . على أنها تبدو كما لو كانت نائمة .

الأب : لا خوف إذن . إنها الوحيدة التي تستطيع  
أن تسمع ما تقول .

أندرو : والتي تستطيع أن تتحدث إلينا . لأنها  
الوحيدة التي لم ينقطع اتصالها بنا :

بيتر

: [ يدبر الكرة الأرضية التي على مائدة الكتابة جزافاً

لفير غرض معين ]

لقد كان من أشق الأمور على أن أقص  
عليها تفاصيل ما حدث لي .

جورج

: أعرف ذلك يا أنخي العزيز . إنه يجعلك

تشعر كما لو كنت تعترف بأنك تصرفت  
بنذالة . [ يفتح أحد أدراج المكتب ويبحث بمحتوياته ]

خبروني يا إخوان ، هل علمتم أن والدتنا  
قد احتفظت فعلاً بالفلايين التي كنا ندخن  
فيها التبغ . ما أكرمها وأعطفها . عندما  
كنا أحياء كانت لا تسمع لنا بالتدخين

هنا في هذه الغرفة . [ يضع غليوناً خالياً من

التبغ بين شفتيه ، ويفعل كما لو كان يدخن حقيقة ] .

م . م . ليس من شك أن الإنسان لا يملك

إلا أن يشعر هنا بأنه في بيته بالفعل .

[ طلقات نارية في الخارج ]

الأب

: [ يذهب إل الثالثة ] . يبدو أنهم يتبادلون

الطلقات النارية . [ يستمع ] . . .

بيتر

: [ وهو يحرك منافس السجاير ومثقلات الأوراق جزافاً

لفير قصد معين ] . هؤلاء رجالنا . إنهم يطلقون

النيران على رجالنا .

جورج : وها هي كراساتي ومسوداتي هنا أيضاً ،  
تصور أن أمي تحتفظ بها ، [ يقلب صفحات  
واحدة منها ] وهذا رسم من تصميمي ، عجيب  
جداً يا إخوتي ، هذا رسم آخر حاولت فيه  
تصميم هيكل لنوع جديد من الأجنحة .

بيتر : [ وهو يضع عل المكتب تمثالا صغيراً لزنجي كان مؤسراً  
فوق خزانة الكتب ] . دعني أرى .

جورج : لماذا أحضرت هذا التمثال هنا ؟  
بيتر : لا أقصد غرضاً معيناً . شيء أشغل به  
نفسي على الأرجح .

الأب : [ يعتمد عن النافذة ] دعه يا جورج - إن  
حديثي العهد بالموت كثيراً ما يستبد بهم  
القلق ، كأنما هم يريدون أن يذكروا  
بعض الأحياء بأنهم كانوا هنا . ولكنه  
سوف يقلع عن هذا الشعور فيما بعد . قل  
لي يا بيتر : أرجو أن تكون قد قابلت  
الموت بشجاعة الرجال على الأقل .

بيتر : [ وهو ينقل آتية التبغ من مكانها إلى مكان آخر ]  
نعم يا أبي . لم تطرف لي عين .

الأب : شدد ما سرفي قولك . لا يجب أن تورثنا  
خزيًا وعاراً كما تعلم .

أندرو : [يجلس إلى جانب الأم] لابد أن يكون الإعدام  
على هذه الصورة شيئاً يكدر الخاطر .

بيتر : إنه لكذلك حقاً . عند ما وقفت هناك  
وبداى موثقتان ، ورأيت ستة من المهندسين  
الجلدد - وهم على الأرجح من غلمان القرى  
الذين لا دراية لهم ولا خبرة - تحركت  
في قلبي عوامل الشفقة ، رحمة بهم وثناء  
لحالم ، ما أظن أن يكون الإنسان جلاداً .  
أؤكد لك أنني ما كنت أستطيع أن أكون  
واحداً من أولئك الجنود الذين كلفوا  
بمهمة إعدامى .

الأب : ألم يعصبوا عينيك ؟

بيتر : لا يا أبى - لقد أرادوا أن يضعوا على  
عيني عصاية بالفعل ، ولكنني رفضت .

الأب : هذه روح طيبة يا بنى . من كان رئيس  
كثيية الإعدام ؟

بيتر : ضابط من رتبة ملازم . رجل هزيل قصير  
مختنق الصوت ، حاول لإرهاب الجنود  
وزجرهم ما وسعه الجهد والزرجر ، حتى  
لا يلمحوا مبلغ اشمزازة ونفوره من المهمة  
التي كلف بها . ولقد حشا مسدسه بالرصاص

فعلا تحت أنفى كما لو كان يزعم أن  
يقضى على بيده إذا أخفق الجند في ذلك .

أندرو

: يا لله !

لابد من ذلك يا أندرو . هذه هي الطريقة  
الوحيدة .

الأب

يا لله . كم هيج هذا الأبله أعصابى ، حتى  
اضطرتت آخر الأمر لى أن أقول له :  
تنح أيها العاجز الأحمق ، ودعنى أقم بالمهمة  
بتقى .

بيتر

ما كان ينبغي لك أن تتصرف على هذه  
الصورة يا بيتر . فالإعدام أمر خطير له  
حرمة ووقار . شهدت ذات مرة حادثاً  
كهذا . . . . ولكن ما علينا ، ليس هذا  
وقت الكلام .

الأب

الواقع يا أبى أن الإنسان عند ما يكون في  
موقف من هذا النوع ، ينزع إلى مثل هذا  
التصرف ليحتفظ برباطة جأشه . لقد أخذ  
الجنود يضحكون ، وضحكت أنا أيضاً ،  
فهدأت أعصابى ، ونفست الضحك عنى  
بعض ما بى من الكرب . فاحمر وجهه  
عقب ذلك من الخلق ، واستل سيفه من عمده

بيتر

وصاح بصوت مخنق : انتباه . كنفيا  
سلاح ! وإني أقول لك أن .....

: ... ماذا ؟

جورج

بيتر

: كان هذا كل ما وسعني أن أفعله ، لأمنع  
ركبتي من أن تصطك فتعجزا عن حملي  
أو من أن ينتابني الضعف والخور أو شيء  
من هذا القبيل . وفجأة غشيتني إحساس  
بالضعف في ساق وبطني . لقد شعرت  
وقنئذ ، كما لو كنت خرقه بالية . وأعجب  
ما في الأمر ، أنني لا أذكر متى أصدر ذلك  
الثور أمره بإطلاق النار . كل ما أحسسته  
ريح باردة تتخلل شعر رأسي .

: هذا هو الهلع بعينه !

أندرو

بيتر

: أظنه كذلك [ يحرك يده الأشياء التي على المكتب  
في عصبية وقلق ] ولكن أستطيع أن أخبرك  
بأنه كان إحساساً رهيباً مرعباً .

: [ يرفع رأسه من كرسيه ] لا حاجة بك  
لإخباري

جورج

: لا تستطيع أن تتصور هذا الإحساس  
يا جورج ، لآنت ولا غيرك .

بيتر

: لا تتعب نفسك . إنني أعرفه كل المعرفة ،

جورج

فهو لا يختلف عما أحسسته عندما أخذت  
الظائرة تهوى بي إلى الأرض .

بينر : نعم ، ولكنه إحساس لم يدم أكثر من  
طرفه عين .

جورج : على العكس ، فلذلك عندما تهوى من ارتفاع

ستين ألف قدم تستغرق فترة طويلة من  
الزمن إلى أن تصل إلى الأرض . والواقع  
أنك لا تستطيع تحديد طول الفترة ، إذ يبدو  
لك أنها مستمرة إلى الأبد ، وفي الوقت  
نفسه تشعر كما لو كانت الأرض من أوطا  
إلى آخرها تسرع نحوك ركضا .

أندرو : ما الذي مر بخاطرك وأنت على هذه الحال؟

جورج : لم يمر بخاطري شيء معين . هدوء مخيف

مرعب . إذن هذه هي النهاية أو عبارات  
من هذا القبيل . هأنذا أفكر في أمرى  
بوضوح وفي هدوء يائس ، وأجبل النظر  
من تحتي في الوقت نفسه مستعرضاً تلك  
الرقيقة من الأرض ، التي أصبح من المرجح  
أن أتخطم فوقها . لا ، ليس هناك ، لأنى  
لا أحب منظر هذه الأشجار . لعل هذا  
الحقل يكون أكثر ملاءمة للسقوط فيه

: إذن لم يكن خطبك آخر الأمر بالغ القسوة .

: هذا ما يترامى لك ! ولكن ثق أن ذلك

الشعور اليائس ، الشعور بأنك لا تستطيع

أن تقوم بأية محاولة لإنقاذ نفسك . كان

أشد قسوة من أى ألم يخطر لك على بال .

كنت كما لو أن كل شئ داخل هيكل

الآدمي قد أصيب بالشلل ، وإنما عاجز

عن أن أحرك عضواً من أعضائي .

: هذا هو الخوف واللع الحسب بعينه .

: ليس لي أن أحكم على ذلك . ولكنني

لا أود أن أموت هذه الميئة مرة أخرى .

[بفقد حركة من يرد] ما كان أفضح ذلك

الإحساس !

[فترة صمت قصيرة] . . .

: وماذا عنك أنت يا أندرو ؟

: آه ! كان لدى متسع فسيح من الوقت .

فقد انقضت أيام بلياليها قبل أن . . .

: قبل أن تموت ؟

: نعم . كنت أعلم أن أجلي قد انتهى قبل

أن أموت بثلاثة أيام . إنك عندما تدرك

ذلك وتتحقق منه ، ينشط عقلك وتعاودك

بيتر  
جورج

أندرو  
جورج

بيتر  
أندرو

بيتر  
أندرو

الذكريات . ولست أزعج أنى ارتحت  
 لذلك . وزاد الطين بلة أنى كنت على  
 الرغم منى أتبتنع حالتى وهى تزداد سوءاً  
 من آن إلى آن ، فأرى أعراض الداء  
 وكأننى أموت عضواً فعضواً . كل  
 عارض مطابق تماماً لما جاء فى كتب الطب .  
 الآن انتهى الكبد ، والآن . . .

الأب : ولكن خبرنى يا أندرو ، كيف تركت  
 جرثومة الحمى الصفراء تنتقل إليك ؟  
 أندرو : كانت تجربة يا أبى . كنا نريد أن نعرف  
 إذا كانت البعوضة اللعينة ، (الاستيجوميا)  
 تنقل العدوى كذلك من المصابين الذين مروا  
 بمراحلها الأولى : فقد كان الأطباء  
 غير واثقين من ذلك بصورة قاطعة .  
 فعرضت نفسى لعضة بعوضة من بعوض  
 الاختبار .

الأب : وانتقلت إليك العدوى ؟  
 أندرو : نعم ، انتقلت ولا شك . والواقع أن نتيجة  
 الاختبار جاءت بعكس ما كان ينتظر .  
 الأب : وهل لاختبار من هذا القبيل أى قيمة ؟  
 أندرو : [ يهز كتفيه ] طبعاً ، من الناحية العلمية على

الأقل . فقد كنا نريد أن نعرف كيف  
تتوالد البكتريا في البعوض وتنمو ، وهو  
أمر له أهميته يا أبى .

جورج : وهل الموت من أثر الحمى الصفراء مؤلم  
قاس ؟

أندرو : لامشاحة في ذلك . فهأنذا ترقد وأنت  
أضعف من الفأرة ، ولا تكاد تنتابك  
الحمى . حتى يتبع ذلك البرقان . ثم آفات  
أخرى لا يعلمها إلا الله . صدقنى إنها داء  
خبيث ملعون ، داء لا أتمناه لأعدى  
أعدائى .

بيتر : يبدو لى إذن أن أبى هو الوحيد من بيننا  
الذى مات ميتة مجيدة .

الأب : أنا ؟ ما الذى يحملك على هذا الظن ؟  
بيتر : لا ريب ، فالإنسان الذى يقتل في ساحة  
الوضى إنما هو . . .

الأب : ولكنى لم أقتل على هذه الصورة يا ولدى .  
بيتر : لم تقتل على هذه الصورة ؟ ولكننا كنا نظن  
دائماً . . .

الأب : لأنى قتلت في المعركة أثناء الهجوم الأخير  
أعرف ذلك . هذا الذى قيل إنما كان

ادعائه من أجل أمكم ليس إلا . لم يكن  
في مقدورهم أن يخبروها بحقيقة ما حدث .

إذن ما الذي حدث ، كيف . . . ؟

جورج

لم أقتل أبداً . بل كان القتل أبعد ما يكون  
منى . وإنما تركت راقداً حيث كنت .

الأب

جريجاً ؟

أندرو

نعم يا بنى . وعلى هذه الحالة وجدنى العدو .

الأب

وبعدئذ ؟

بيتر

سامونى الأمرين ، وعدبونى عذاباً شديداً .

الأب

[ وبمركة من يده ] ولكن أظن أن لا داعى

للخوض فى هذا الموضوع . كيف حال

الأم يا أندرو ؟

نبضها قد تحسن .

أندرو

اسمعوا يا أولادى ! يجب ألا تعلم أمكم

الأب

شيئاً مما قلته لكم بالطبع ،

[ فترة صمت قصيرة ] . . . .

[ وكراسه ما تزال فى يده ] لطالما قيل لنا كما

جورج

تعلمون ، كيف أن الموت فى سبيل شئ أو

آخر عمل مجيد رائع : كالموت فى سبيل

العلم ، أو الوطن ، أو العقيدة ، أو خلاص

البشرية ، وما إلى ذلك . ولكن عند ما  
تحدث هذا . . .

أندرو

: تجذ أنه مختلف كل الاختلاف عما كنت تنتظر  
أن يكون . ولكن لو أن الناس أدركوا  
حقيقة ما يشعر به المرء في أمثال تلك  
الظروف ، لكفوا عن التمدق بجلال الميته  
التي يموتها الإنسان في سبيل قضية معينة  
أو مبدأ عن أى جلال تراهم يتكلمون ،  
إننى لم أجد فيما أعلم شيئاً من ذلك الجلال  
والمجد يتصل بموتى [ بهضج طلقات نارية بعيدة ]  
الواقع أن الرجال طالما ضحوا بأنفسهم في  
سبيل شئ أو آخر طوت ذكره الأيام ،  
ولم يكن بد من نسيانه ، على إننى كثيراً  
ما فكرت لو أننى كنت عميداً أو لواء  
على المعاش أقيم هنا مع والدتكم ،  
لأنصرفت إلى كتابة مذكراتى ، وخصصت  
بعض وقى للعناية بالحديقة . كم يكون  
ذلك ممتعاً . لعلكم مستطيعون إدراك ذلك ،  
فالذى لاشك فيه ، هو أن للحياة حسناتها  
وفضائلها . فهى تتيح لك الفرصة للقيام  
بعمل من الأعمال . أعلم أنكم جميعاً

الأب

قد ضحيتم بحياتكم في سبيل أمر عظيم ،  
فأندرو في سبيل العلم ، و جورج في سبيل  
تقدم الطيران ، و بيتر — ما الذي ضحيت  
بحياتك في سبيله بالضبط يا بيتر يا ولدي ؟  
[ وهو يقطع الشطرنج فوق الرقعة ] في  
سبيل المساواة والحرية يا أبي .

بيتر

آه ، وأنا مت في سبيل الوطن وشرف  
الكتيبة . أولان العميد أصدر تعليمات  
منكرة خاطئة ، ولكن لاعلينا من ذلك ، كلها  
أعمال عظيمة جدية بأن تضحي الحياة في  
سبيلها . وإنكم لتعلمون أنني قد مضت على في  
المئات فترة أطول مما مضى على أي واحد منكم  
بزمن طويل ، ولكن صدقوني حينما أقول  
لكم لأنني لن أرفض العودة إلى الحياة الدنيا  
فترة أخرى لو أتاحت لي الفرصة . لقد  
استمتعت بالحياة ، استمتعت بها كل  
الاستمتاع . وإنني حينما أنظر إليكم لايسعني  
إلا أن أقول لنفسى : « إن واحداً من أولادى  
هو لاء قد يعمل عملاً محموداً أو عملاً عظيماً  
حقاً » ولكن ها نحن اليوم كلنا أبطال .  
إنه لغبن فاحش أن نموت جميعاً . ليتنا كنا

الأب

ما نزال على قيد الحياة .

أندرو

: [ ناعماً على قدميه ينطى ] إنه شيء ممل ،  
ممل حقاً . ليس لنا من عمل سوى أن ننظر  
مكتوفى الأيدي ، بينما ينشط غيرنا لعظام  
الأمور وجلال الأعمال . وبما أننا أموات  
فليس لنا ما نعمله سوى أن نتبع نظرية  
( أيسر المقاومة ) . [ يسير إلى خزانة الكتب ] .  
أقسم لو كنت على قيد الحياة لواصلت  
العمل كبركان متأجج ، ولكان مرض  
النوم هذا ، هو الداء الذى أكرس نفسى  
للقضاء عليه .

جورج

: [ وهو ما يزال مسكاً بكراسه ] - أجل ،  
سأكون .

الأب

: ماذا دهالك ؟

جورج

: خطرت لى فكرة رائعة ، فكرة من الميسور  
تطبيقها عملياً !

يا لله - ليتنى فكرت فيها من قبل . لحظة  
قصيرة .. يجب أن أفكر مبدئياً فيما يجب  
أن تكون عليه . [ يجلس إلى مائدة الكتابة ويشرح  
في رسم تخطيطى ] . نعم هذه هى الصورة  
تقريباً .

أندرو : [ يفتح خزنة الكتب ] لا جدال في أن أمتنا عظيمة .

بيتر : [ وهو مكب على الشطرنج ] من أية ناحية ؟

أندرو : انظروا ! إنها ما تزال مواظبة على دفع اشتراكاتي في كل ما يصدر من النشرات الطبية ، وما هو آخر عدد صدر من نشرة أمراض المناطق الحارة ، التي كنت أنشر فيها بعض بحوثي .

بيتر : هذا صحيح ، وقد نعوك فيها بكلمة رائعة .

أندرو : [ وهو يستخرج إحدى النشرات ] . أظن من الواجب علي أن أنصفح هذه النشرة حتى لا تنقطع صلتى بتلك الأشياء .

[ يجلس جلسة مريحة على الأريكة ، ويشرع في تصفح النشرات التي ما تزال صنادعها مثبتة بعضها ببعض ]

الأب : [ واقفاً إلى جانب الأم ] رأيت يا حبيبتي !

ها أنت قد اجتديتهم جميعاً إليك من جديد ، إنهم يشعرون بالسعادة حينما يكونون معك في المنزل ، وما ذلك باعز يزني إلا لأننا لا نزال أحياء بالنسبة إلى كل ما يتصل بك .

بيتر : [ وهو مكب على الشطرنج ] لا ، لا فائدة من هذا - إن هذه المسألة لبعضلة عسيرة الحل حقاً .

جورج : [ وهو ينهك في رسمه ] . نعم ، هذا هو الوضع الأقرب إلى الحل الصحيح ، ولكن يجب نقل مركز الثقل إلى أسفل قليلاً .  
الأب : [ يفتح حاكياً متنقلاً ] طالما اصطحبت هذا الفونوغراف معي في تجولاتي حتى عند ما كنت في ميدان القتال . [ يملؤ كما لو كان مدفوعاً إلى ذلك بحكم العادة ] كانت هذه الاسطوانة أحب الاسطوانات إلى نفسي . مسكينة أمنا لقد تركتها في الفونوغراف على سبيل الذكرى .  
[ يدير الفونوغراف ]

[ يدور الفونوغراف في رفق ولين ، وقد أخذ الأب ينصت إليه في شغف بينما انشغل الآخرون ، كل بما يشبع هويته ]

أندرو : [ وهو يقرأ الجلة العلية ] هذا عظيم ! لقد اكتشفوا علاجاً ناجعاً لداء الأسد ، وهو نوع من الجذام . إنه لنبا سار جداً .  
[ صوت طلقات ناربية في الخارج ]

جورج : [ وهو ينهك في الرسم ] أما انهوا من إطلاق النيران بعد !

بيتر : [ وهو مكب على رقعة الشطرنج ] إنهم ما كادوا  
يبدأون . اسمع يا أبي ! يبدو لي أن مسألتك  
هذه ستنتهي بالتعادل . ليس ثمة وجه  
لتغلب الأحمر أو البيض .

[ يشهد صوت إطلاق البيران . ويكف الفولوغراف  
عن الدوران ]

الأب : هذه أحب الاسطوانات إلى قلبي [ يبتعد عن  
مركزه ويستمع ] أنسمع هذا ؟ . رانانانا .  
مدافع رشاشة يا بيتر .

بيتر : معنى هذا أن المعركة قد بدأت . هذا

ما كنت أتوقعه ، [ يب واقفاً ] يا لسوء  
الحظ ! كم وددت لو أنني خفضت عمارها !  
هيا يارفاق . اكشفوا لهم عن معدنكم ! .

أندرو : [ ينهض واقفاً ويلقى بالنشرة جالباً ] سوف يتألق  
نجم بعض الأبطال ، أليس كذلك ؟ أنا  
لا أحب سماع لهذا الصوت .

بيتر : ما أعجب ما تقوله يا أشعي . إن الاستماع  
لهذا الصوت متعة . إنه الموسيقى بعينها !  
أولئك رجالنا قد نهضوا اليوم للأمر ، قد  
شهِروا عن ساعد الجلد ! لقد بدأوا هجومنا  
مخاطفاً كلمح البصر ، هاهم يكتسحون

الشوارع والطرق بمدافعهم الرشاشة  
مندفعين إلى الأمام على أحسن صورة وأتم  
نظام . مرحى مرحى يارفاق ما أروع  
كفاحكم ! إنني لم أمت عبثا بعد .

الأب : هذا مدفع سريع انطلاقات . بم - بم - بم - بم -  
لأنه على بعد ميلين ، اضبط المرعى .

جورج : [بامضا] إن المدافع مسلطة على قلب المدينة  
يا أبي .

بيتر : [منتشياً من الفرح] هذه مدافعنا . ومعنى هذا  
أننا انتصرنا .

الأب : كل ما أرجوه ألا تنزعج أمكم .

أندرو : إنها لا تعرف شيئاً عما يجري [يلف قطعة من رباط  
طبي وجدها في جيبه ثم يفردها ، ثم يميد لفها وفردها  
بدون وعى] ما أحمتهم وأجهلهم ، كيف  
يطلقون رصاص المدافع والبنادق هكذا في  
الشوارع والطرق ، سوف ينتهى الأمر  
بمذبحة عامة شاملة بلا ريب !

بيتر : ما علينا من هذا . يجب أن يسيثوا مكانا  
للأجيال القادمة ، وهذا يبرر ما يعملون  
حتى ولو ضحوا في هذا السبيل بعشرات

وعشرات الألوف من الأرواح . أسمع  
هذه الطلقات ؟ قسما إنه لعمل رائع .  
وددت لو أنني في المعركة .

الأب : لقد أخذوا الآن يطلقون الرصاص في كل  
مكان ، إنه مسلك غير سليم على ما يبدو لي ،  
بل هو أقرب إلى مذبحه فظيعة من أى  
شئ آخر .

بيتر : وماذا في ذلك ؟ ليس ثمة سبيل غير هذا ،  
كان لا بد أن تحين ساعة أو اثنتك الخونة إن  
عاجلا أو آجلا ، ليلقوا أجزاء ما قدمت أيديهم ،  
ليس هؤلاء المتوحشين من البيض سوى  
الرصاص والقنابل . أسمع ضرب النار  
كيف يشعب ويمتد ؟ إن فريقنا سيقا تل  
إلى النهاية . فعنا المشاة من الجيش ، ومعنا  
البحارة ، ومعنا الشعب أيضاً . وكل ما لديهم  
هم الضباط . صحيح معهم الطيارون  
ولديهم المدافع ، ولكنهم لن يجروا على  
استعمالها داخل المدينة ، وإلا قوضوا دعائمها  
وتركوها أثراً بعد عين إذا هم حاولوا  
ذلك ، أليس كذلك يا أبى ؟

الأب : لست أدري على وجه التحقيق يا بتر ،  
إذ يبدو لي أن لكم قواعد ونظماً في هذه  
الأيام تختلف عما كان يقضى به العرف  
في أيامنا .

جورج : [بجانب جهاز الراديو] وأى الفريقين يسيطر  
الآن على محطة الإذاعة ؟

بتر : فريقنا بلا ريب . افتح الراديو يا جورج  
ودعنا نسمع ما يقولون .

جورج : فليكن [يدير مفتاح الراديو] . اسمعوا الآن .

صوت المذيع : [وهو أشبه ما يكون بصوت كرستوفر] . هنا  
مركز القيادة العامة للجيش الأبيض .

بتر : [وقد استمع لونه واستولى عليه الدهول] لا بد أن  
يكون في الأمر بعض الخطأ .

صوت المذيع : [في مكبر الصوت] يدعو القائد العام للجيش  
الأبيض ، الثوار الحمر للمرة الأخيرة  
إلى وقف هذه المذابح الفظيعة في شوارع  
المدينة ، وأن يضعوا السلاح في ظرف  
خمس دقائق . وإذا هم لم يصدعوا بهذا  
الأمر ، فإن القائد العام سيأمر المدفعية بعد  
انقضاء هذه المهلة القصيرة بضرب المدينة .

بيتر : [ سارعا ] لا يمكنهم أن يفعلوا ذلك .  
أترام فاعلين ذلك يا أبي ؟ إن هؤلاء الأوغاد  
قد فقدوا صوابهم .

صوت المذبح : [ في مكبر الصوت ] يأمر القائد العام جميع  
المواطنين أن يحتموا ببندرومات منازلهم .  
وإذا لم يسلم الثوار الحمر في بحر أربع  
دقائق ، فإن المدافع ستسلط على قلب المدينة  
ويبدأ ضربها بالقنابل ، وسوف نستعين  
بسلح الطيران لتعزيز عملياتنا .

بيتر : أيها الأوغاد المتوحشون ، إنكم لن تجرؤوا  
على ذلك . إنكم تحاولون إرهابنا ليس إلا  
أيها البيض السفاحون .

صوت المذبح : [ في مكبر الصوت ] إننا نحمل زعماء الثوار  
الحمر مسئولية تخريب المدينة ، وكل ما يترتب  
على ذلك من خسائر في الأرواح . لقد  
أصدرنا تحذيرنا في الوقت المناسب . كما  
أنا واصلنا المفاوضة معهم حتى اللحظة  
الأخيرة ، ولكنهم على الرغم من ذلك  
كله ، قد لجأوا إلى الخيانة ، وشرعوا يقتلون

من عندهم من رهائن وضباط ومواطنين  
من فريقنا .

بيتر : إنكم تكذبون ! إنكم أنتم الذين بدأتم أيها  
الجرذان ، / أيها الجرذان المتعطشة للقتال  
[يكشف عن صدره] أليس هذا من عملكم ؟

صوت المديع : [في مكبر الصوت] إننا نرفض الدخول في  
أى مفاوضات جديدة . وكل شخص  
يضبط وفي حيازته أسلحة نارية من أي  
نوع كانت ، سيرى بالرصاص على الفور .  
وكل من انحاز إلى صفوف الحمر ، سوف  
يقدم للمحاكمة أمام المحكمة العسكرية .  
وسوف نبدأ في ضرب المدينة بالمدافع بعد  
دقيقتين من الزمن . إننا ندعو الفريق  
الأحمر للمرة الأخيرة إلى التسليم ، والكف  
عن المقاومة : إن المدينة لن تنجو من  
الكارثة التي لا يعلم إلا الله مدى فداحتها  
إلا إذا صدع الحمر بالأوامر .

بيتر : لا تأهبوا لهذا القول أيها الرفاق . لا تسلموا .  
دعوه يهدم المدينة إذا شاء . دعوا هذا

الشیطان اللعين يعمل كل ما فی وسعه أن  
يعمله .

أندرو : إذن سوف يكون ثمة ما يستحق أن يموت  
الإنسان من أجله ؟ اقلل الراديو يا جورج .  
[جورج يقلل الراديو]

پیتر : أجل . عندئذ يكون هناك ما هو جدیر  
بأن يضحى الإنسان بحياته من أجله .  
فليحيا الفريق الأحمر . إلى الأمام ، إلى  
الحرية ، إلى النصر ، إلى عالم أفضل .  
لا تسلموا أبها الرفاق ، حتى ولو هدمت  
المدينة ، وأصبحت قفراً يبأبا تنمى من  
بناها ، لا ، ولا حتى لو ذُبُحت الأمة كلها  
على بكرة أبيها ، لا ، لا تسلموا حتى  
ولو بحيث الدنيا بأسرها ، لا تسلموا إلى أن  
يتم النصر لقضيتنا ! إنه لأكرم على النفس  
أن تلقى حتفها من أن تعيش تحت سيطرة  
هؤلاء البيض الأنجاس وسلطانهم .  
[دوى المدافع من بعيد]

الأب : هذه هي مدافع البطاريات الثقيلة . كما  
يستدل من دويها . لقد بروا بوعدهم .

جورج : أندري يا أبى ! لىنى مغتبط الآن بأنى . . .  
الأب : بأنك فى عداد الأموات ؟ لىنى أوافلك على  
ذلك ايم . . . يم . . . هذه طلقات مدفع  
أثقل من المدافع الأولى .

بيتر : سفاحون ! سفاحون ملاعين مجرمون .  
أندرو : خفض من صوتك . أمنا شرعت تعود لى  
صوابها .

جورج : مسكينة أمنا . لقد اختارت لصحوها أسوأ  
وقت ممكن .

الأب : يطفى الأنوار .  
[ « ظلام » ، المدافع تدوى وتسمع طلقات البنادق أيضاً ]  
صوت أندرو : أستودعك الله يا أمى .

صوت الأب : لا تخشى بأساً يا حبيبى ، إننا معك على  
الدوام .

صوت جورج : إن هى إلا عاصفة يا أماه ، لا تلبث أن تمر  
وشيكاً .

صوت بيتر : سفاحون ! سفاحون !  
[ دوى المدافع والبنادق . يزداد انعكاس الوهج  
الأحمر على زجاج النافذة بسبب اشتداد النيران  
المتأججة من بعيد ]

- الأم : [ وهي ترفع راسها ] بيتر . كرس . توفى .  
 ما هذه الضوضاء ؟ أين بيتر ؟ توفى ، أين  
 كرس ؟ كرس ألا تسمعي ؟  
 [ توفى حل عتبة الباب ]
- توفى : أنت هنا يا أمي ؟ [ بيتر الحجره ] قد كنت  
 أبحث عنك .
- الأم : [ وهي تمسح بعينها بيدها ] توفى أين بيتر ؟ أو لم  
 يعد بعد ؟
- توفى : لا . لم يعد يا أمي ...
- الأم : ما كل هذه الضوضاء يا توفى .
- توفى : لأنهم يطلقون المدافع يا أماه ، ولكن على  
 بعد كبير من هنا كما تعلمين ، لا داعي  
 للخوف ، سوف أكون هنا إلى جانبك  
 [ يفتح درج المائدة ليأخذ المسدس الذي حشاه كرسوفر  
 بالرصاص ] لا تخافي .
- الأم : ماذا تصنع يا توفى . دع هذا المسدس .  
 لا تقربه ولا تمسه .
- توفى : لا تنزعجى يا أمي . كل مافى الأمر ، أنى  
 فكرت ... قال لي كرس ...
- الأم : أين كرس ؟ ادع كرس .

توفى : لا تغضبى يا أمى ولكن ...  
 الأم : أين كرس يا توفى ؟  
 توفى : خرج يا أمى . أخذ بندقيته وأوصانى أن  
 أقول لك : لا تغضبى منه لمغادرته المنزل  
 ولكن واجبه بحتم عليه الخروج ...

تنزل الستار ، بينما تواصل المدافع إطلاق نيرانها



### الفصل الثالث

[ الحجرة عينها ، بعد أن أزيل عن جذرائها  
ورفرفها جميع الأسلحة والبنادق . . . ]

الأم : [ زيل عن الحائط آخر  
سدسين ، وتضعهما داخل  
أحد الأدراج ، ثم تلتقه ،  
وتحتفظ بالمفتاح ] .

انتهيت من هذا والحمد لله . لست أريد  
أن تظل كل هذه الأسلحة أمام توفى على  
الدوام [تنظر حولها] لا . لن أسمع له  
برؤيتها . [تدعب إل النافذة فتصمك إغلاق شيشها]  
ولن أسمع له أن يطل من النافذة أيضاً  
[تغني الدرفة بواسطة المفتاح الكهربى الموجود بجوار المدخل]  
هل نسيت شيئاً ؟ [تدعب إل جهاز الراديو]  
وأنت ! أظنك لا تزال مشغولاً بالكلام ؟  
ليس من الضرورى أبداً أن يعرف توفى

ما يجري خارج الدار . [ تتردد لحظة ومي  
بجوار جهاز الراديو ] ولا أنا ، لا رغبة لي  
إطلاقاً في معرفة ما يجري . لأنني لا أريد  
أن أسمع لفظة أخرى . إن ما يجري  
لا يعينني بتاتاً . [ تتردد ] لا بد لك من  
مراعاة الصمت . على أنك تود أن تتكلم ،  
أليس كذلك ؟ تود أن تملأ رأس توني  
بطائفة من الأفكار التافهة السخيفة مرة أخرى .  
أليس كذلك ؟ لا ، لن تصرخ فينا مرة  
أخرى بعد اليوم . لك أن تضيع ما تشاء ،  
ولكن خارج هذه الدار . أنا صاحبة الأمر  
هنا . ولن أسمع لك بأن تُسمع توني  
سخافاتك منذ اليوم . فما رأيك في هذا ؟  
[ تفتح جهاز الراديو ] . ولكن تعال نسمع  
ما عندك .

صوت في مكبر الصوت : [ صوت امرأة مؤثر مملح ] ... لأنها جريمة  
لأنقرها العدالة . لقد داسوا جميع  
الانفاقيات بأقدامهم ، وأتوا من أعمال  
العنف والإجرام ما يعجز عن وصفه البيان .  
فيدون إعلان حرب ، وبدون أقل مبرر ،  
وبدون أية محاولة ، أو أثر لمحاولة للتفاوض ،  
اجتاز حدود بلادنا جيش أجنبي — وبدون

كلمة إنذار ، وبغير سبب على الإطلاق ،  
 وبدون إعلان الحرب ، أخذت المدافع  
 والطائرات تضرب عاصمتنا ومدننا . ولقد  
 اغتتم العدو فرصة الظرف الدقيق الخطير  
 الذى تمر به الأمة لسوء الحظ ، نتيجة  
 ما أصابها من الضعف حيال الحرب الأهلية  
 القائمة فيها ، فانتهاك حرمة الوطن بدعوى  
 الرغبة فى إعادة النظام . من الذى منحه  
 هذا الحق ؟ وعلى أى أساس تدخل فى  
 شئوننا ؟ ليس هناك حق من هذا القبيل  
 ولا مدعاة للتدخل . إننا نذبح هذه الظلامنة  
 على جميع العالم بجميع اللغات ليكون شاهداً  
 عدلاً على مدى فظاعة هذا الاعتداء  
 الوحشى الغاشم على وطننا الذى يعجز عن  
 وصفه البيان . إن وطننا قد استنزفت  
 دماؤه ونحارت قواه وأصبح فى النزاع الأخير .  
 : [ تقفل جهاز الراديو ] ماذا يجديك صراخك  
 فى وجهى ؟ إننى لا أريد أن أستمع إليك .  
 جنائية 1 جنائية . ألم يكن قتل ابنى رمياً  
 بالرصاص جنائية ؟ أو لم تكن جنائية عندما  
 قتلوا ابنى كرستوفر ؟ مافالدة التكلم إلى  
 عن الجنائيات ؟ إنى أعرف ماهى ، أعرفها

الأم

جميعاً . إننى أم . أم شقيت بما ارتكبت  
 ضدها من الجرائم . لقد نالها منها أكثر  
 من أى شخص آخر . طبعاً أنت لم تعرفى  
 أولادى ! وددت لو أنك شهدتهم عندما  
 كانوا رياحين هذا البيت وملء السمع  
 والعين . استمرى فى صياحك ، ادعى العالم  
 بأسره . لقد صحت مثلك يوماً من  
 الأيام ، ولكن أترى استمع أحد لصياحى !  
 [تفتح جهاز الراديو]

صوت المدبغة : [ فى مكبر الصوت ] لذلك كان لزاماً علينا  
 أن نبدل كل مائى وسعنا دون أية مساعدة  
 من العالم الخارجى . سوف ندافع عن أنفسنا  
 حتى الرمق الأخير ، ونقيم من أجسادنا  
 متاريس وحصونا . إن قواتنا ماضية فى  
 قتال العدو بشجاعة المستميت اليأس .  
 ولكنهم للأسف لن يستطيعوا أن يصمدوا  
 أمامه ما لم يأتهم المدد . إن عليكم أن  
 تتقدموا ملء مائى الصفوف من فراغ .  
 إننا ندعو كل مواطن للمبادرة إلى حمل  
 السلاح فى وجه أعداء بلاده ، كما أننا ندعو  
 نساء هذه الأمة إلى القيام بما كان يؤديه

أزواجهن وأولادهن الذين ذهبوا إلى قتال  
العدو من أعمال .

[ تقفل جهاز الراديو . . . ] لا ، لا تجهدى  
نفسك . كلامك معي في هذا الأمر لن  
يجدى فتىلا . لن أرسل إليك أحدا . وهل  
بقي عندي أحد أرسله ؟ لا يمكن أن أرسل  
توفى : إنه ما يزال طفلا . إنه لم يتقرر  
تجنيد الأطفال بعد . وأى شأن لك في  
إرسال بعولتنا وأبنائنا إلى القتال ، إنهم ليسوا  
أبناءك أنت ، فالزى الصمت ولا تلحفي في  
المسألة ، ألك أبناء ؟ لا تقولى إن لك أبناء .  
[ تفتح جهاز الراديو ]

صوت المديعة : [ في مكبر الصوت ] . . . وليس هذا صوت  
إنسان ، ولكنه صوت الوطن نفسه يناديكم  
أنا أمكم الوطن . أنا أنادى جميع أبنائى  
أن هلموا إلى الدفاع عني . هلموا إلى  
يا أبنائى ، دافعوا عن أبنائى .

[ تقفل جهاز الراديو ] لا ، أنت لست أما .  
ولكننى أنا كذلك ، أنا أم ، أسامعة أنت ؟  
أى حق لك تجاه أولادى ؟ لو كنت أما  
لما أرسلتهم إلى الحرب . ولحبايتهم كما أفعل

أنا ، ولغلقت من دونهم الأبواب ولصرخت  
كما أصرخ : لا لن أنخلي عنهم . أقول  
لك الحق . لم يبق لي أحد . لم يبق سواي ،  
أنا وحدي ، امرأة عجوز خرقاء . لم يبق  
لي أحد ، لا أحد إطلاقاً ...  
[توفى يقف على عتبة الباب]

[تستدير إليه] ماذا تريد من هنا ؟ [تصرخ  
في رعب ووجل] توفى ، أنت أيضاً ... ؟  
[ترتمى عليه وتمرر يديها فوق جسمه] ، لا ،  
حمداً لله ، هذا أنت يا توفى ، أليس  
كذلك . إنك على قيد الحياة أليس كذلك .  
كم أربعتني . عم تبحث يا توفى ؟ أنت تعلم أنني  
لا أريدك أن تنصت هنا ... إلى هذه المرأة ،  
لن أسمح لك بذلك يا توفى .

ولكن صوتها رائع يا أمي . إنه يملك على  
نفسى ، ويملؤني رهبة وخشوعاً . أتعلمين ؟  
إني أكاد أنجيل منظرها . إنها ممشوقة القوام ،  
شاحبة اللون ، ولها عينان واسعتان جداً .  
دعنا منها .

ولكنها تدعوني .  
ليس هذا من شأنك في شيء يا توفى .  
لتقل ما تشاء . ولكن أنت لا يجب أن

الأم

توفى

الأم

توفى

الأم

تأتي إلى هذه الغرفة بعد اليوم. ياتوني .  
سأوصد بابها بالمفتاح .

لماذا ؟

توني

[ وهي تجلس ] أوه ، سأغلقها ، هذا كل ما في  
الأمر .

الأم

سأخذ منها خزانة أحتفظ فيها ببعض الطعام  
لنا ، حتى إذا قامت الحرب ، أمكنني  
أن أطعمك يا ولدي الحبيب . وليست هذه  
الحجرة بذات نفع يذكر . والحمد لله على  
أنني فكرت في تخزين بعض ما نقتات به .  
فأنت وأنا سنعيش في البدروم ، في الكرار .  
حتى لا يستطيع أحد أن يهتدي إلينا ،  
وسوف يبدو المنزل كما لو كان قد خلا  
من أهله .

ولكن ، أمي . . .

توني

لحظة يا توني . لا تخش بأساً . سوف  
أحبثك على صورة لا يشعر معها أحد  
بأنك في الدار . وعليك ألا تقدم على  
الخروج من البيت . لن يضيرك هذا ،  
وسوف تصبر على ما يسببه لك من  
مضايقة وسأم . سوف نصبر كلانا على

الأم

ذلك حتى تنمشع الغمة ، وتزول المحنة ،  
فأنت في محبتك لن تشعر بشيء ، حتى  
ولن تعرف أن هناك حرباً تدور رحاها  
خارج الدار . أنت لا تصلح لمثل هذا  
العمل ، ثم إنك أصغر سناً من أن تنغمس  
فيه . سوف نسترق الخطى إلى الكرار كما  
لو كنا فأرتين ، وسوف يتسع أمامك  
الوقت لقراءة ما تشاء من كتب ، وتخييل  
الشمس طالعة في الخارج ، وسوف ننعم  
بالراحة قدر المستطاع ، أليس كذلك ؟

توفى : أماه ، أرجوك ، دعيني أذهب ، أرجوك  
يا أمي :

الأم : ولكن ، إلى أي مسلك يمكن أن تكون  
قد اتجهت بتفكيرك ياتوفى ؟  
لا ينبغي لك أن تتكلم بمثل هذا الكلام  
يا ولدي العزيز .

توفى : أتوسل إليك يا أمي ، دعيني أذهب ،  
أرجوك ، دعيني أنطوع للخدمة العسكرية .  
لأنني لا أستطيع البقاء هنا .

الأم : كففاك سخفاً ياتوفى . لا يمكن أن تذهب .  
لأنك لم تبلغ الثامنة عشر بعد .

توفى : هذا لا يعنى شيئاً يا أمى . كل زملائى فى  
الفصل قد قرروا أن يتطوعوا . أتوسل  
إليك يا أمى . يجب أن تدعبنى أذهب .

الأم : هراء يا بنى ، أى نفع يمكن أن تكون لهم ؟  
توفى : أنت مخطئة فى هذا يا أمى . فى مقدورى  
أن أكون جندياً كائى زميل من زملائى  
فى الفصل . ثم لئنى فضلاً عن هذا قد  
تعهدت . . .

الأم : لمن ؟  
توفى : لزملائى فى المدرسة يا أمى .

الأم : أظن هذا الأمر يتعلق بأملك يا توفى أكثر  
مما يتعلق بزملائك فى المدرسة .

توفى : آسف يا أمى ، ولكن إذا كانوا سيذهبون  
جميعاً . . .

الأم : فلا لزوم للذهابك إذن يا ولدى العزيز .  
بل تبقى هنا فى البيت .

توفى : لماذا يجب أن أبقى أنا من بين جميع الناس .

الأم : لأنك لاتصاح لمثل هذا النوع من العمل  
يا توفى . أنت ضعيف البنية . أضف إلى  
ذلك أننى لن أسمح لك بالذهاب : أليس  
فى هذا ما يكفى .

توفى : أرجوك يا أمى ألا تغضبى ، ولكن هذه  
هى الفرصة الأخيرة لإنقاذ كل شئ  
- لإنقاذ الوطن -

الأم : وهل ظننت أنك ستنقذ الوطن . هيه ا  
وأنا بدونك نفقد كل شئ . أهذا ما ذهبت  
إليه فى تفكيرك ؟ إننى لا أعتقد أن ذهابك  
قد يرجع كفة الميزان إحداهما على الأخرى .

توفى : لو أن كل أم تتكلم بمثل ما تتكلمين ...  
الأم : لا يدهشنى ذلك أبدا . أتراها مستطبعة أن  
تتقبل فكرة انتزاع أبنائها منها ، الواحد  
تلو الآخر ، فى هدوء واستكانة ، لأنها لو  
رضخت لهذا عن طيب خاطر لما استحقت .  
أن تسمى أمًا .

توفى : ولكن أمام هذه الحرب الرهيبة الطاحنة  
يا أماه ...

الأم : إننى لم أبدأها يا توفى . ما من أم أشعلت  
نيرانها . إننا نحن معشر الأمهات يا ولدى  
العزیز ، لم نشهر حرباً أبدا . إن كل عملنا  
فيها أن ندفع أولادنا ثمننا لها . ولكن  
كفانى غياب الآن ، فلن أجد لهم بالولد  
الوحيد الذى بقى لى . فليقتتلوا فى هذه

الحرب بدون مساعدة مني . لن أجود لهم  
بشيء آخر . ولن أدعهم ينتزعونك مني  
يا توفى .

توفى : لا تغضبى يا أمى ، ولكن لا بد لى من  
الذهاب . أما علمت أنه قد صدر أمر  
ملزم بذلك . إننا جميعاً قد أمرنا  
بالتطوع .

الأم : إنك لم تبلغ مبلغ الرجال بعد يا توفى .  
إنك ما تزال طفلاً وما على إلا أن أغمض  
عيني حتى أرى ، ماذا تظننى أرى ؟ أرى  
طفلاً صغيراً هزيباً جالساً على الأرض  
يحاول أن يضع لعبة فى جيب مريته .  
لا ياتوفى هذا عمل سيئ ، لا تفعل هذا  
ياتوفى . أخرج اللعبة من جيبك واعطها لماما !  
ولكننى لست طفلاً اليوم يا أمى .

توفى : ألسنت طفلاً ؟ تعال هنا ودعنى أنظر  
إليك . إذن أنت تريد أن تكون جندياً ،  
هيه ؟ ما أعجب هذا منك يا توفى !  
أتذكر أنه كان لى ولد ذات مرة ، ولد  
كبير واعد بأن يكون على خلاف ما يديه  
لى الآن . ولد نشأته مبغضاً للحروب ،

أليس كذلك يا توفى ؟ وكان يقول لى :  
عندما تكبر وترعرع يا ماما لن يكون  
هنالك حروب . إن جيلنا لن يسمع بها .  
لن يقتل أحداً الآخر . ولن نسمع بأن  
نذبح كالماشية . كيف يستحل الإنسان  
يا ماما قتال أمثاله من بنى الإنسان ؟ أليس  
هذا ما كنت تقوله لى يا توفى ؟

توفى : أجل ، ولكن هذه حرب تختلف عن  
غيرها كل الاختلاف ، أما ترين أنها  
حرب دفاع عن النفس ؟

الأم : إذن أنت تستحل الذهاب لقتل زيد أو  
عمرو من الناس ؟

توفى : بلى يا أماء . طالما لم يكن ثمة مناص من ذلك .  
والأم : وأنت تحب أن تذهب ؟

توفى : أجل يا أمى ، إني شديد الرغبة فى ذلك .  
الأم : هأنثدا أيضاً يا توفى . حتى أنت تريد

أن تتخلى عنى الآن . لقد أصبحت عاجزة  
عن أن أفهم أحداً ، حتى أنت يا توفى .  
كم قد تغيرت يا ولدى العزيز ؟

توفى : أمى ، أنت تهكين . إذن فأنت ستسمحين  
لى فى الذهاب ؟

الأم : لا، ياتوني . إني امرأة عجوز . امرأة  
عجوز عنيدة . لن أنخلي عن . ولدى من  
أجل أمر كان على نكبة ووبالا ، إن هذه  
الحروب قد كلفتني الشيء الكثير . لن  
تذهب . لن أدعك تذهب .

توني : ولكن يا أمي ، أنت لا تستطيعين أن تتصرفي  
معي على هذه الصورة ، سوف أهرب .  
سوف أهرب منك .

الأم : [ تنهد راتقة ] إذن انتظر قليلا . انظر إلى  
يا توني انظر إلى !

توني : أنوسل إليك يا أمي ، أرجوك .

الأم : أتركني وحدي هنا . أما فكرت فيما يحدث  
لي . كيف أستطيع العيش بدونك إذا أنت  
فارقتي . لا يمكن أن تعاملني هذه المعاملة  
القاسية ياتوني ، ليس لي في الدنيا سواك الآن .

توني : ولكن شيئا لن يحدث لي يا أماه . لا تجزعي ،  
صراحة وحقا يا أمي ، إنني أشعر بذلك ،  
أعرف ذلك تماما . لا أتصور إطلاقاً أن  
شيئاً يحدث لي .

الأم : لا ، أنت لا تستطيع أن تتصور ذلك ، ولكن  
أنا أستطيع تصور ذلك يا توني . نا

أستطيع . لقد ذهبت جميعكم كما لو كنتم  
ذاهبين للتزوه . وكان دائماً أبدأ على لسان  
كل منكم : لآخافى يا أمى ، سوف أعود  
إليك عما قريب . أعرف ذلك ، أعرف ذلك  
كله إنك لا تستطيع أن تخدعنى .

ستوفى

: ليس فى من رغبة لأن أخدعك يا أمى .  
إنى أعرف ذلك ... من الجائز أن أقتل .  
أتعلمين أن فى استطاعتى أن أتصور  
كيف يكون ذلك ؟ لقد قتلت مرات ومرات  
منذ عقدت النية على الذهاب إلى الحرب ،  
حتى أصبح فى مقدورى أن أمثل هذا  
الدور فى سهولة ويسر ، وإنه ليأخذنك  
العجب ، من إتقانى له حتى إنه ليبدو واقعياً  
حقاً . وأحياناً أرى الأولاد زملائى فى  
الفصل منبسطحين على الأرض ، كما لو كانوا  
قد قتلوا جميعاً . مجموعة كبيرة من  
التلاميذ ممددين على الأرض ، وآثار الحبر  
ما تزال على أصابعهم . ولكن كل هذا  
لم يخففنى ، ولا حولنى عن عزمى . لأننى لا أشعر  
بشئ من الخوف إطلاقاً . وهذه علامة  
أكيدة ، كما علمت ، نعم على الذهاب .

بل الواقع أنني لا أتصور نفسي أبدا متخلفا  
عن الذهاب إلى الحرب . فنحن جميعاً  
متفقون على أن الواجب يقتضينا الذهاب  
إلى الميدان تلبية لنداء الوطن .

: توفى أتعلم ماهو واجباتك ؟ واجباتك أن تبقى  
معى . إنك تدين لى بذلك ... من أجل  
أبيك وإخوتك ... فمن المؤكد أن لى  
عليك حق الرعاية . أمالى عليك ذلك  
يا توفى ؟

الأم

: بلى يا أماه ، ولكن ثمة واجباً أكبر الآن -  
: أكبر ! أكبر ! أعرف أنه لامعزة لى  
عندك الآن . ولعلكم جميعاً قد اعتبرتموفى  
شيئاً غير ذى أهمية ، شيئاً لا يؤبه به  
ولا يقام له وزن . إنى أعرف كل شئ  
عن تلك الواجبات العظيمة ، واجبات  
الرجال التى تلهجون بها : ولكن لا ينبغي  
لكم أن تنتظروا منى أن أولها من الأهمية  
والاعتبار مثل ما تولونها - إننى أكبر سنأ  
وتجارب من ذلك بألاف وآلاف السنين  
يا توفى .

توفى

الأم

: إذا أنت لم تدعيني أذهب يا أمى فسوف . .

توفى

: فسوف ماذا ؟ سوف لا تحبني منذ اليوم ،  
 أهذا ما تريد أن تقوله ؟ سوف تبغضني ،  
 أليس كذلك ؟ سوف تحتقرني ومحتقرا  
 نفسك . وتبدل كل ما في وسعك للانضمام  
 إلى الجيش . إني على ثقة من أنك سوف  
 تفعل ذلك يا توني . لك أن تبغضني إذا  
 شئت . ولكنني محتفظة بك معي هنا ؛  
 وعند ما تضع الحرب أوزارها ستكون أول  
 من يقول : لقد كنت على حق يا أمي .  
 [ تضع يدعا على كتفه ] والآن يا توني ، ما الذي  
 استقر عليه رأيك ؟

توني : [ مبتلها من تبغضها ] أرجوك يا أمي دعيني  
 وشأني .

: فليكن . لك أن تبغضني يا ولدي العزيز .  
 لشد ما قاسيت في حياتي ، فلا بأس من أن  
 أصبر كذلك على بغضك لي . وأيا كان  
 الأمر ، فالحب أيضاً صارم قاس . اذهب  
 إذا كنت تريد الذهاب يا توني . اذهب ،  
 ولكنك إذا ذهبت فسوف تقضي على ...  
 لم لا تذهب ؟

توني : أرجوك يا أمي لا تبغضني مني . لا أدرى

ماذا أقول ، ولكن لا بد من أنك قد رأيت  
أن لا مفردى من الذهب كالآخرين .  
: أنا لم أر شيئاً . أنا لم أر شيئاً أبداً  
سواكم أنتم ، أنتم أطفالى ، أطفالى الصغار ،  
فى مرابلكم الصغيرة . لعلنى لم أستطع أن  
أهضم بعد الفكرة بأنكم قد كبرتم . دعنى  
أراك يا توفى . تعال هنا . شد ما نموت  
وكبرت يا توفى . لقد آن لك أن تتصرف  
تصرف الرجال .

الأم

توفى : نعم يا أمى لا مفرد من ذلك .  
الأم : إذن يكون تصرفك أسوأ ما يكون ، إذا  
أنت تركت أمك العجوز الواهة تلوى فى  
وحدتها . إنه لا علم لك بما قد عمله . سوف  
أطوف الشوارع مستنزلة اللعنات على هذه  
الحرب ، وعلى أولئك الذين أرسلوك لتصلى  
بناها .

توفى : أمى !  
الأم : لا يجب أن تلجئنى إلى مثل هذا العمل  
يا توفى . يجب أن تواسى أمك وتحبها .  
لم يبق لى الآن سواك . لى أعلم مبلغ ما تشعر  
به من مضاضة وتعاسة لاضطرارك لى التخلى

عن أمنية حبيبة إلى قلبك . ولكن على المرء  
أن يصبر على مثل هذه التضحيات الكبيرة .

[ وهو يفسر على شفوية ليهنس دموعه ] بما أنه  
لاغنى لك عنى يا أماه ، فإننى لا أدرى  
فى الواقع ما أصنع ؟

[ وهو تقبل جبينه ] إنك شجاع يا توفى . لقد  
كنت أعلم أننى أستطيع أن أعتد عليك ،  
فأنت ذكى راجح العقل وفيك شهامة  
أيضاً ! ولو كان أبوك حياً لكان بك جد  
فخور . والآن تعال معى . يجب علينا  
أن نأخذ عدتنا لهذه الحرب .

[ تستند إلى كتفه وتخرج به من الغرفة . وعند ما تصل  
إلى عتبة الباب تطفى الأنوار . الحجره الآن يكتنفها  
الظلام . يسمع سرير المفتاح وهو ثقيل باب الحجره  
من الخارج وتزعم المفتاح من القفل ] .

صوت أندرو : [ فى الظلام ] مسكينة أنت يا أمى !

صوت الأب : المسكين هو توفى !

صوت كرستوفر : إنه فى منتهى التعاسة من غير شك .

[ فترة صمت قصيرة . يسمع صوت الطبول من

الخارج ، ووقع أقدام الجنده وهو تسير ] .

صوت بيتر : أتسمع هذا ؟

صوت جورج : لأنهم سائرون إلى الميدان .

صوت الأب : إنهم يمشون مشية رائعة . شمال ! يمين !  
شمال ! يمين ! شمال ! يمين .

صوت كرسنوفر : أجل إنها تجعلك تتمى لو أنك بين صفوفهم .  
[ فترة صمت قصيرة . يتلأى صوت الطبول ]

الأب : قل لي يا جورج . أما تستطيع أن تستطلع  
الأبناء من الراديو . ينبغي أن نعرف مجرى  
الحوادث .

جورج : بلى ، يا أبى .

[ يفتح جهاز الراديو ]

صوت رجل في مكبر الصوت : [ مكبرات غنق ] تواصل  
قواتنا الشرقية الانسحاب وهى تقاقل  
قتالا عنيفا . وقد كف جناحها الأيمن عن  
التقهقر واعتصم بسلاسل جبلية ، وأخذ يقاوم  
العدو مقاومة شديدة فى عناد وإصرار .

صوت الأب : كل ما أرجوه أن تكون قواتنا على جدر  
من حركة التفاف يقوم بها العدو .

صوت رجل في مكبر الصوت : وقد أسقطنا سبع عشرة طائرة  
من طائرات العدو ، وعجزت تسع من  
طائراتنا عن العودة .

صوت جورج : تسع طائرات مقابل سبع عشرة طائرة .  
نتيجة مرضية لا بأس بها .

صوت رجل في مكبر الصوت : يواصل العدو ضرب مدنا  
المكشوفة ، ويقدر عدد من قتل من الأهالي  
المدنيين بنحو ثمانية آلاف . وليس لدينا  
أى نبأ حتى الآن عن مصير مدينة  
« فيلاميدا » التي هاجمتها طائرات العدو .  
صوت الأب : اقبل الراديو يا جورج ، أسمع وقع أقدام  
قادمة .

[ يسمع صوت صهام الراديو وهو يقفل . وبعد لحظة  
قصيرة يدار المفتاح في قفل الباب وتدخل الأم الحجرة  
التي ما يزال يلغها الغلام ] .

الأم : [ تقفل الباب بالمفتاح ورائعاً . وتتقدم بضع خطوات  
في الغرفة ثم تقف ] إني أعلم أنكم هنا .  
ماذا تريدون مني ؟

صوت الأب : إننا لم نأت هنا إلا لرويتك يا حبيبتى .  
الأم : لا ، ليس لرويتي يا ريتشارد .

[ تضيء المصباح الموضوع فوق المكتب وتتلفت حولها  
يرى الأشخاص الآتية أسلأهم منتشرين في الحجرة  
بعضهم جلوس ، وبعضهم وقوف في أماكن شتى متفرقة ،  
الرجل المعجوز ، الأب ، أندرو ، جورج كرستوفر  
وبيتر ] .

كرستوفر : أسعدت مساء يا ماما .

الأب : ألم تلاحظي يا حبيبتى ... الجسد قد أتى  
هنا أيضا .

العجوز : [ وهو جالس في فوئيل مرتدياً زى أبنائه جيله ، وعمل صدره طائفة من الأشرطة ] أسعدت مساء يا عزيزتي .

الأم : ماذا أنت هنا أيضا يا بابا ، إني لم أرك من زمن بعيد !

العجوز : بلى يا عزيزتي . هأنذا ! أترينني قد تغيرت كثيراً .

الأم : لا ، لم تتغير — ولكن لماذا ... [ تنظر من واحد إلى الآخر ] لماذا تواعدتم جميعاً على اللقاء هنا ، أتراكم ترمعون غفقد مجلس

أندرو : أوه ، لاشئ من هذا يا أمي . كل ما قصدنا إليه أن تكون معك الآن . وأن نقف إلى جانبك في هذه الظروف العصبية المخوفة بالأخطار .

الأم : أوائق أنت من أنك تصدقني القول يا أندرو؟ إنك فيما أعلم لم تعتد أن تكرس لي من وقتك شيئاً ذا غناء . ولكن فيم كنتم تتكلمون ؟

جورج : لاشئ يا أمي . إننا كنا نستمع إلى نشرة الأخبار في الراديو ، لاشئ غير ذلك .

الأم : عجيب هذا ! غريب منكم هذا الاهتمام

مثل هذه الأشياء الآن .

بيتر : أألنا موقى ؟ أوه ، إننا شديدو الاهتمام

بهذه الأشياء أكثر مما قد تتوهمين .

الأم : ولكن أنتم لا تستطيعون أن يكون لكم

انصيب من النشاط فيها الآن والله الحمد..

الأب : لا تدعى هذه الفكرة تتسلط عليك

يا حبيبتي . فنحن نستطيع أن نعمل أكثر

مما نظنين . فعندما تثار حرب ، فإننا نحن

الموقى ننشط إلى الحركة .

كرستوفر : اعلمى يا أمى أننا لسنا أمواتاً بالقدر الذى

تتصورينه .

بيتر : هذا صحيح ، وكل ما يحدث نتأثر به تماماً

كما كنا نتأثر به ونحن أحياء . والواقع أننا

نكون السبب فى حدوثه .

الأم : نعم ، أنتم السبب . أعلم ذلك . وإذا كنتم

سبب الأحداث الراهنة ، فلا أرى لكم

وجهاً للافتخار بها .

الأب : ولكن يا حبيبتي ، الحرب لم تنته بعد ،

وقد تكون النهاية نصراً رائعاً لنا . كل

ما نحتاج إليه هو المدد . إننى أشعر ببعض

القلق على جناحنا الأيسر . أين وضعت

خراطة العسكريه يا حبيبى ؟

الأم : [تفتح درج المكتب] ها هي ذى . ماذا تريد منها ؟

الأب : هناك مسألة أريد أن أتحقق منها . شكراً [يسط الخراطة فوق المائدة]

كرستوفر : إن أسوأ ما نعانیه يا أبى قلة الضباط ، إذ قتل منهم عدد كبير جداً فى الحرب الأهلية . وما نحن قد بدأنا نشعر الآن بفداحة الحصار المؤسفة ، ومساس الحاجة إليهم .

بيتر : وأنتم المسئولون عن هذا يا كرس .

كرستوفر : لا ، لم نكن نحن المسئولين عن ذلك ، ولكن اللوم يا بيتر على جموعكم العابثة المستهتره من رعاع الناس ، أولئك المنتحرين باسم السلام .

بيتر : وماذا عن مدافعكم يا عزيزى ، تلك التى

تسببت فى النصب الأوفر من التدمير .

كرستوفر : هراء . أترى كان يجب علينا أن نقف

مكتوفى الأيدى بينما أنتم تعيثون فى البلاد

فساداً وتخريباً الحمد لله على أن وقفنا إلى

إنقاذ العمود الفقري لجيشنا ، على الأقل ، من

نفوذكم الشرير .

بيتر : ونحن نحمد الله على أن مكنتنا ، على الأقل ،

من أن نعلم الشعب كيف يكون القتال .

كرستوفر

: وعلى عصيان الأوامر .

: إن الشعب لن يصدع أبداً بأوامركم ،

بيتر

انتظر حتى تضع هذه الحرب أوزارها

لترى صحة ما أقول .

: أيتا كان الأمر ، فلن يتسع أمامهم الوقت

كرستوفر

بعد الحرب لشيء من مشروعاتكم الاجتماعية

الجنونية .

: لن يتسع ؟ هذا ما تظن . إنها الأشياء

بيتر

الأكيدة التي سوف يكرسون وقتهم لها .

وعندئذ سوف يتبين لنا مدى نفع هذه

الحرب وحقيقة جدواها .

: مهلا يا أخي . إذا كان لأحد أن ينتصر

كرستوفر

في هذه الحرب ، فإن النصر سوف يكون

حليف البلد المتكامل المترابط ، غير المنشق

على نفسه . البلد القوي المنظم المعتمد على

نفسه . لهذا حمدت الله على قيام هذه

الحرب ، لأنها سوف تضع حداً لهذا المدعى

الغبي الذي يتخذ عن استحداث نظام

عالمى جديد أفضل .

: ما هذا يا أولاد ! أما تركتكم التشاجر

الأم

والنشاحن بعد؟ أما نخجلان من نفسيكما؟  
إنكما يا پيتر ويا كرس لم تفقدا حياتكما  
إلا لهذا السبب عينه . أما كفاكما ما حدث .  
ماذا يقول جدكما عنكما؟

المجوز : إنه لغز محير يا عزيزي بالنسبة لي . ولكن  
للشباب اندفاعا كما تعلمين .

پيتر : معذرة يا أمي ، ولكن طالما أن لنا قدرة على  
التفكير ، وطالما أن المبدأ الذي نكافح في  
سبيل إعلاء كلمته لا يزال موضع النزاع ،  
فإننا نكون أبعد من أن ننزع إلى الهدوء  
والسكون ، على الرغم من أننا في عداد  
الأموات .

أندرو : اعلمي يا أمي ، أننا جميعاً نواصل كفاحنا  
من أجل الحق والوطن والإنسانية كأى  
إنسان آخر . فنحن نطلب لقضيتنا الفوز  
والنجاح ، على الرغم من أننا قد نخسر  
المعركة حتى الآن ، ونحن أموات .

الأب : [ منحنياً فوق الخرائط ] من الميسور جداً الدفاع  
عن هذا الخط . بلى والله ، إنها تكون مناورة  
فذة في الوقت الراهن . التركيز في القلب  
ثم اقتحام جناح العدو ، والالتفاف حوله .

وبعد ذلك نسوق هؤلاء الأوغاد أمامنا  
وندفع بهم إلى البحر .

كرستوفر : لست واثقاً من هذا يا أبى ، فاختراق  
صفوف العدو يتطلب استخدام جموع  
كبيرة جداً من الجنود .

الأب : هذا بديهي يا بنى ، هذا بديهي . ولكن  
كل واحد منا سيقوم بنصيب من العمل .  
أليس كذلك ؟

الأم : ماذا تعنى ياريتشارد بقلوك « كل واحد منا ؟  
الأب : أعنى كل واحد يا حبيبتى بالطبع — بما فى  
ذلك نحن الموقى .

الأم : ما أعظم ما يكون نفعكم .  
أندرو : أكثر مما قد يخطر لك على بال يا أمى . إن  
الوطن فى حاجة إلى جميع موتاه لتأييده .

الأم : أمن أجل هذا تركتم هذه الجموع الخفيفة  
تسفك دماؤها ؟

بيتر : اعلمى يا أمى ، أن هذه الحرب الدائرة رحاها  
الآن ، تتصل بنا اتصالاً وثيقاً . فإذا خسرتنا  
هذه الحرب ...

كرستوفر : يكون معنى هذا أن أرواحنا جميعاً قد  
ذهبت هباءً . وأنا قد ضحينا بها من

أجل لاشئ، وعندئذ لا يبقى شئ يا أماء ،  
لاشئ حتى منا نحن الموقى .

الأم : معنى هذا أنكم جميعا ترمعون الذهب حقا .  
جورج : لا بد لنا من ذلك يا أمى . إن الواجب  
يقترضنا ذلك . فأبونا ينضم إلى فرقته القديمة  
بيتر : وأنا أنضم إلى لواء المتطوعين .  
جورج : وأنا -- أظننى أو اصل الجهاد مع سلاح  
الطيران .

الأب : وددت لو استطعت أن أضم توفى إلى كتيتبى ،

ريتشارد !

الأم : إنها كانت كتيبة رائعة بارزة يا حبيبى .  
الأب : كتيبة ذائعة الصيت . كانت خسائرها فى  
الأرواح على الدوام أكثر من خسائر أية  
كتيبة أخرى .

الأم : إذن هذا هو السبب الذى من أجله أتيت

إلى هنا . أليس كذلك ؟ لقد صدق حدسى .

ولكننى لن أدعك تأخذ توفى ، أسامع

أنت ؟ توفى لا يستطيع الذهاب ، لا يستطيع .

الأب : هذا يكون مؤسفا حقا يا عزيزتى . وإنى

لتأخذنى الشفقة على الصبى .

أندرو : يجب عليك يا أمى ، أن تحاول فهم الأمور

على حقيقتها . إن تخلف توفى عن الذهب  
وصمة عار عليه . وهو كما تعلمين مرهف  
الحس ، فلن يرتاح له ضمير مالم يقيم بواجبه  
نحو الوطن .

جورج : ثم هو بعد كل هذا ابن عقيد بالجيش ،  
أبوه مات مينة الأبطال في ميدان القتال ،  
الحق أن في تخلفه ما يوجب الدهشة . إن  
شرفه اليوم في الميزان .

كرستوفر : إننا اليوم نقاتل في سبيل الدفاع عن الوطن  
يا أمى . لا بد له من الذهب . إنه واجب  
لا يحصى عن أدائه .

بيتر : إننى كذلك أضمر ضوقى يا أمى إلى أصواتهم ،  
متوسلاً إليك أن تدعيه يذهب . لقد كنت  
على الدوام من المعارضين للحروب . والواقع  
أننى لا أزال على مبدئى هذا ، ولكن  
لا مفر من مقاومة مثل هذا العنف والعدوان .  
إن المسألة مسألة مبدأ يا أمى .

الأم : [ تنظفت حولها مذعورة كحيوان مطارد ] . أنتم  
جميعاً تريدون أن يقتل هو أيضاً . أليس هذا  
ما تريدون ؟ إنكم ما جئتم إلا لتأخذه .  
أليس كذلك ؟ فأنتم كلكم ضدى . كلكم .

الأب : ولكن يا حبيبتى . إن ما نريده ليس ضدك  
في شيء .

الأم : بلى إنه لكذلك . لقد قدمتم كل ما استطعتم  
من حنحج في محاولتكم لإقناعى بما توأطأتم  
عليه . شرف . ضمير . مبدأ . واجب .  
أهدأ كل ما لديكم ؟ أما في مقدوركم أن  
تفكروا في شيء آخر ؟

أندرو : ماذا تعنين يا أمأه ؟

الأم : فاتكم أن تقولوا : « إنك لا تفهمين يا أمأه » .  
هذا أمر يتعلق بالرجال .

الأب : صدقت يا دولورز . إنه حقاً أمر يتعلق  
بالرجال .

الأم : هذا رأيك . أما أنا فقد حولته إلى أمر

يتعلق بالنساء ، إلى أمر يتعلق بالأم .

أخشى أن التفاهم بيننا لن يكون ميسوراً

أبدأ يا رتشارد . أما أنتم يا أولادى ،

فأفكارى سوف تتعارض أيضاً مع أفكاركم

وآرائكم على الشوام . ومن الأوفق على

ما يترأى لى ، أن نكف عن النقاش ...

: ولكن ، يا أمى .

: دعنى وشأنى . والآن اخرجوا من هنا .

چورچ

الأم

لاني سئمت مرآكم .

[ توليهم ظهرهما . فترة صمت قصيرة . الموق . ينظر

كل منهم إل الآخر في ذمور ]

: أمنا لا ثقة لها بنا .

أندرو

: إن عندي من الأسباب ما يمنعني من

أن أتق بكم يا أندرو .

الأم

: أظنك تعتبرين أنا كنا قدوة سيئة لتوفى .

ولكن لعل جلدنا يخبرك . . .

أندرو

: من أنا ؟

المعجوز

[ يتحولون جميعاً بانظارهم إليه ]

معاذ الله ، ماذا تراني أقول ؟ لم أكن

جنديا يوما من الأيام ولا بطلا . بل لاني

لا أكاد أذكر قيام حرب ما .

: أبي ، أتراك كنت مرسلا آخر ابن لك

إلى جبهة القتال ؟

الأم

: أما علمت ياعزيزتي ، أنا كنا في زماننا

قوما محافظين نتبع تقاليدنا القديمة ، أما أنتم

فعلى التقيص من ذلك . لقد تعودتم الحروب

وكل مايتصل بها من شجار ونفار . فمقتل

عشرة آلاف ، أو مائة ألف ، أمر لا تعبرونه

كبير اهتمام . ولكننا لم نكن كذلك في أيامنا

المعجوز

كنا ننظر إلى الحرب كشيء مما يقرأ في  
القصص . شيء لا يمكن أن يحدث لنا حقيقة .  
ولكن لتفرض أنها وقعت يا أبي . لتفرض  
أنها وقعت .

الأم

: أوه ، إننا لم نكن نحسم في زماننا ما ينشأ  
بيننا من خلاف بل إنذار قصير الأمد مثلكم ،  
وأما فيما يتصل بالحروب فلم نكن نعرف  
منها إلا ما كنا نقرأه في الكتب . لقد تعلمنا  
أن مما يشرف الإنسان أن يموت فداء الوطن .  
ربما كنا من أصحاب المذهب القديم  
العتيق يا عزيزتي ، ولكن هذا كان مبدؤنا  
المسلم به ، وتقاليدينا التي لا نحيد عنها . هذا  
هو الوضع الذي أتصوره بمشاعري وعواطفى ،  
ولو طلب منى أن أقدم حياتى فداء وطنى  
لفعلت يا عزيزتى عن طيب خاطر . بل  
لفعلت ذلك دون مرأى .

العجوز

: إنى واثقة من صدق ما تقول يا أبي . ولكن  
أكنت ترسل أبناءك إلى ميدان القتال ؟

الأم

: هذا موضوع آخر . لا يجب أن تخلطى  
بين الوضعين . كل ما أقوله ، هو أنى لو  
كنت فى مكان توفى ، لما تخلفت عن الذهاب .

العجوز

إنني رجل كبارة ، ولا أظن أنني كنت  
 من الأبطال الذين يشار إليهم بالبنان ، على  
 أنني لم أكن نكرة من النكرات . فقد  
 كانت حياتي العملية مرضية كل الرضى ،  
 فوصلت إلى وظيفة من أعلى الوظائف  
 الحكومية مرتبة ، وأنعم على بالرتب  
 والأوسمة ... ولكن دعيني أنظر ، فيما  
 كنت أتكلم .

الأم  
 العجوز

: هل كنت ترسل أولادك إلى موت محقق  
 : آه . تذكرت الآن . الواقع يا عزيزتي أنني  
 قد عشت حياة يمكن وصفها بأنها كانت  
 حياة تامة حافلة ، لم يحدث أبداً أن أهملت  
 واجبي أو قصرت عن أدائه . حتى  
 إنني كنت أذكر بعد موتي بالثناء والتقدير .  
 أجل ، كانت حياتي سعيدة . على أنني ،  
 كنت أنساءل في الفينة بعد الفينة يا عزيزتي ،  
 إذا لم يكن قد فاني شيء أو آخر . هذه  
 هي الحقيقة الصريحة التي لامراء فيها يا عزيزتي .  
 : ماذا تعني ؟ وما صلة كل هذا بتوني ؟  
 : لا شيء يا عزيزتي ، لا شيء . إنما ذكرت  
 ذلك لأبين لك ، كم في الحياة من غرابة ؟

الأم  
 العجوز

إنك قد علمت ولا شك أن أمك مرضت  
مرضاً شديداً قبيل ميلادك . والواقع أننا  
أخبرنا بأن نعد أنفسنا لأسوأ الاحتمالات ،  
فركمت بجانب سريرها ، وإنني ما أزال  
أذكر ما اعتراني من الخجل يومئذ . فقد  
قلت لنفسى : ها هي زوجى تخاطر بكل  
شئ ، وبأعز شئ لتنجب طفلاً تخرجه إلى  
هذا العالم ، بينما أنا عاجز عن عمل أى  
شئ لإسعافها . ما الذى فعلته حتى أستحق  
كل هذا ؟ فأنت ترين يا عزيزتى ، أن هذا  
هو ما يُقيم للحياة قيمة ووزناً . فالحياة  
لا بد أن يدفع ثمنها ، وقد يُدفع هذا  
الثمن أحياناً بالحياة نفسها . ثم إن هذا أمر  
مقصود على المرأة وحدها يا عزيزتى . وليس  
شئ فى العالم يشد عن هذه القاعدة .  
فلو أن الرجال لم يضحوا بالحياة من أجل  
الوطن والشرف والحق وما إلى ذلك ، لما  
كان لحياتهم تلك القيم العظيمة التى تُدعى  
بها . فدعى ابنك يذهب . فذلك خير  
له ، وهو المسلك الحق السليم .

: أهذا كل ما تستطيع أن تقوله لى يا أبى ؟

الأم

المعجوز : لست متأكداً من ذلك يا عزيزتي . ولكن  
 اعلمني أنني كنت أود بجدع الأنف لو  
 أنني استطعت أن أعمل شيئاً أساعد به الوطن  
 في هذه الحرب ، فلو أنني استطعت أن  
 أرسل إلى الميدان ، على أقل تقدير حفيداً  
 من حفيدتي ، حفيداً واحداً لشعرت أنني  
 لم أكن ميتاً تماماً عديم النفع - فأنت  
 تعلمين أن ميتاً عجوزاً مثلي ليس في  
 استطاعته أن يحمل شيئاً ذا غنى في مثل  
 هذه الظروف ...

الأم : كيف تقول ذلك ، وأنت لم تر توفى أبداً ؟  
 المعجوز : صحيح ، لم أره أبداً ، ولكنه من صلبى ،  
 وذريتي . فهو إذا قاتل إنما يقاتل باسم  
 الأسرة ونائباً عنها . نحن أسرة قديمة كما  
 تعلمين ، ذات ماضٍ مجيد .

الأم : لن أدع توفى يذهب  
 المعجوز : كما تشائين يا عزيزتي ، ولكنه أمر يؤسف  
 له . لقد كنا أسرة ذات تقاليد وماضٍ مجيد  
 [ نبرة صمت قصيرة ]

الأب : هلمى ، هلمى ، يا حبيبتي ، واتركى الغلام يذهب  
 الأم : كيف يكون ذلك يا ريتشارد ! أنت أيضاً لم

تعرف توفى . فلو أنك رأيتَهُ وهو طفل  
 رضيع لاحول له ولا قوة ، ولو أنك حملته  
 بين ذراعيك ، وأجلسته على ركبتيك تداعبه  
 وتدله ، ولو أنك رأيت يديه الصغيرتين ،  
 لكان شعورك نحوه غير هذا الشعور ، ولما  
 تكلمت بمثل هذا الكلام . توفى لا يمكن  
 أن يذهب ، ليش له من قوة البنية ما يسمح  
 له بذلك . أنت تعرف كيف هو يا أندرو  
 أنت طيب ، وفي استطاعتك أن تخبرهم  
 كم كان ضعيفا ، رقيق البنية طيلة حياته ،  
 أما تذكر كيف كنت تصف له الأشربة  
 المقوية ، لقد كنت له أباً يا أندور ، أخبرهم  
 أن توفى لا يصلح للجيش ، أخبرهم ، أرجوك  
 أن تخبرهم .

[ أندرو يهز كتفيه ولا يقول شيئاً ]

: ألا تزكى قولى وتؤيدىنى ، إذن فلتتكلم أنت  
 يا جورج . لقد كنت أكثرهم ولعاً بالألعاب  
 الرياضية ، وأنت تعلم كيف كنت تعيره بعدم  
 ميله إلى اللعب . فكنت تقول على الدوام :  
 لا خير فى توفى ، توفى ليس عنده رجولة  
 توفى جبان . ألا تذكر كيف كنت تسخر منه

الأم

لا بد لك من أن تقر يا جورج بأن صبياً  
عصبي المزاج كتوفى لا يصلح للجنديّة، أممكنت  
أن تتصور توفى جندياً في جبهة القتال ؟  
[ جورج يهز كتفيه ولا يقول شيئاً ]

الأم : وأنت أيضاً ثأبي تزكيتي وتأييدي ؟ إذن تكلم  
أنت يا كرس ، وأنت يا بيتر ، قولاً ما تعرفان  
فأنها تعلمان جميعاً مبلغ حساسيته المرهفة  
السقيمة ، لقد كان على الدوام يشحب وجهه  
ويهرب منه الدم ، حتى يبدو ناصعاً كصفحة  
بيضاء ، كلما أخذتما في التشاجر والعراك ،  
ثم فجأة ينفجر باكياً . أما تذكرا كيف  
أنعمي عليه أو كاد ذات يوم ، عندما شاهد  
فرساً قد قسا عليه صاحبه وسامه سوء  
العذاب . أي نفع يمكن أن يكون مثله  
للجيش يا كرس ، وأي واجب يمكن أن  
يؤديه كجندي ، ناشدتك الله يا بيتر أن  
تتكلم . فأنها تعرفانه أكثر مما يعرفه أحد  
سواكما .

كرستوفر : أخشى ما أخشاه ، يا أمي أن ليس ثمة مخرج  
من هذا الأمر . فالواقع أنه لا بد من ذهاب  
جميع الناس إلى الميدان .

الأم : إنكم لا تحبون توفى ، هذه هي الحقيقة :

ليس بينكم من يحبه .

الأب : بل ، إننا كلنا نحبه يا حبيبتى ، نحن نحبه

حبا شديداً ، ولكن الغلام سوف يحز في

نفسه ، ويستبد به الحزن والأسى لبقائه في

البيت على الرغم منه . وإنه من أجل صالحه

أنا ...

الأم : إذن فليحزن وليستبد به الأسى إذا كان

يرى في بقاءه إلى جانب أمه شيئاً من

التضحية ... أوه حتى توفى ينكر لي اليوم

وينأى عن جانبي ، ويصرف قلبه عن حبي

أندرو : أبداً يا أمى ، إنه شديد الحب لك ، بل إننا

جميعاً نحبك حباً جماً .

الأم : كف عن هذا السخف ، يا أندرو ،

لا تكلمنى بمثل هذا الكلام الغث السخيف ،

كيف تقول هذا ، وأنت لا تعرف للحب

معنى ، ولا فى استطاعتك أن تحب احداً .

ليس بينكم أحد يقيم للحب وزناً . فكلكم

كنتم على الدوام فى شغل شاغل عن

شئون الحب بأشياء أخرى ، أشياء أكثر

أهمية فى نظركم من الحب . ولكننى كنت

على عكس ذلك تماماً . فلم أعرف شيئاً  
أكثر من الحب أهمية . بل أنا لا أستطيع  
أن أنصور شيئاً يفوق الحب أهمية ، ووددت  
يا رتشارد لو أنك رأيت توفى عند  
ولادته . كان ضعيفاً هزيباً ذا خصلات  
خفيفة من الشعر تبعث على الضحك . أجل  
لو أنك رأيته يومئذ لما تصورت أبداً أن  
في استطاعة توفى أن يذهب إلى ساحة القتال .  
ولكن توفى مكتمل الفتوة اليوم يا أمى .

جورج

الأم

: قد يبدو كذلك ، لك لالى ، وهذا دليل  
على قلة فهمك لمثل هذه الأمور ، أما في  
مقدورك أن تدرك بأن توفى هو الطفل  
الذى وضعته ، والذى تعهدت ورعيته ،  
والذى علمته أن يتكلم ، وأنا أمسك يده  
الصغيرة بين يدي؟ يا لله أجنتم جميعاً ! كيف  
يمكن أن تتصوروا أنني مستطاعة أن ادع  
طفلاً مثله يغادر البيت ؟

: لقد تركتنا نغادر البيت يا أمى .

كرستوفر

الأم

: لا ، هذا غير صحيح . لأننى لم اسمع لكم  
بمغادرة المنزل أبداً . ولكنكم كان لكم  
على الدوام عالم خاص بكم ، لم يكن في

مقدورى أن أتبعكم إليه . مكان تلعبون فيه  
وتتصرفون فيه تصرف من بلغ مبلغ الرجال .  
أنظنون أنى أعتبرتكم أبدأ قد شبيتم عن  
الطوق ، أتتوهون أنى تصورتكم أبدأ  
أبطالا ، إنكم لم تكونوا فى نظرى سوى  
أطفال صغار عابثين مستهترين كان من سوء  
حظهم أن يقتلوا . وأما أنت يارتشارد، فهل  
تدرى كيف كنت أنظر إليك؟ كنت انظر  
إليك كالرجل الذى يرقد إلى جانبي ، والذى  
أعلم أنه ملك يميني . كانت هذه الفكرة  
تغمرنى روحا وجسدا بسعادة ليس بعدها سعادة ،  
وفجأة انتزع منى ليقتل فى مكان ناء صعيق .  
أما تستطيع أن تدرك فداحة هذا الغبن ومبلغ  
فضاعته ، أنظن أنه كان يميني فى قليل أو  
كثير ، امتلاك رقعة من الأرض فى إفريقيا  
عديمة النفع والجدوى ، وعلى الرغم من  
ذلك ، فقد فرض على أن أضحي من أجلها  
برجلى ...

: هذا تاريخ قديم يا حبيبتى .  
: إنه ليس قديما بالنسبة لى يارتشارد . كل  
هذه الأشياء فى نظرى جزء من أحداث

الأب  
الأم

اليوم . ثم انت يا أندرو . فأنت ما تزال في  
نظري ذلك الصبي الصغير المكتئب ، الذي  
لا يدخر وسعا في تكلف مظهر الحكمة والعقل  
على صغر سنه . وكم تجولت معك في الحديقة  
ويدي فوق كتفك ، كما لو كنت أستعين بك  
على السير . وأنت يا جورج ترى كم مرة  
رفوت سراويلك «بنطلونات»؟ عشرات المرات .  
كان لك ولع جنوني بتسلق الأشجار . أتذكر  
كيف كنت أعالج خدوشك وجروحك  
بالمراهم كل مساء ، فكنت تقول إنها لا تؤلمني  
يا أمي ، إنها ليست شيئا يذكر . ثم أنت  
يا كرس ...

كرستوفر : ما قصدك من كل هذا يا أمي . إنها هنات  
لا قيمة لها .

الأم : ما قصدى ؟ إنك أنت الذي لا يفهم . أما  
علمت أن كل واحدة من هذه الأشياء  
التي تسميها هنات ، هي حتى في الوقت  
الراهن أكثر أهمية عندي من جميع  
حملاتكم الاستعمارية وحروبكم . وهل  
تعلم لماذا ؟ لأن هذه الأمور الهينة ، هي  
المعالم التي أعرفكم بها . إنها كانت الأشياء

الوحيدة التي كنت أستطيع أن أنفعمكم فيها .  
لإنها كانت عالمي الذي أعيش فيه . ولكن  
ما إن بدأتهم تحشون رءوسكم بالأفكار  
الكبيرة ، حتى انسحبتم في خفة ونايتم عنى .  
ثم كنتم بعد ذلك لا تجرؤون على مواجهتى  
بحقيقة الأمور ، كما لو كانت ضائركم  
تؤنبكم . كنتم تقولون : أنت لا تفهمين  
هذا يا أماء . والآن أقرأ فى عيونكم تلك  
النظرات الزائفة من جديد . فى عيونكم  
جميعاً . لى أعلم أنكم تبيتون أمراً ما ،  
خطة من خططكم ، مشروعاً كبيراً .

أندرو : لا يملكك الغضب يا أمى ، ولكن الأمر  
فى هذه المرة جد خطير ...

الأم : لست أريد أن أعرف ما هو يا أندرو . إذا  
كان يتصل بتوفى ، فلست أريد أن أعرف  
عنه شيئاً . لكم أسبابكم ولى أسبابى . أعرف  
أن لكم واجبات خاصة بكم ، الشرف  
الوطن ولا يعلم إلا الله ، ماذا غير ذلك ...  
الأم : واجبتنا أيتها الأم .

الأم : بلى ، واجبتك أنت . وأنا أيضاً كان لى  
واجب ، وكنت أنت ذلك الواجب . كان

لى شرف ، وكنت أنت ذلك الشرف . كنت  
 أنت كل ما أمالك . أنت ، أنت وحدك ،  
 ولا أحد سواك . والآن ، لعلك تشرح  
 لى لماذا أنا ، من بين جميع الناس ، أنا ،  
 ولا أحد غيرى أبداً ، أنا طيلة هذه  
 السنوات أنا الأم — أنا المرأة ، على أن  
 أدفع مثل هذا الثمن الباهظ ثمناً لأعمالكم  
 العظيمة ؟

الرجل المعجوز : مهلا يا عزيزتى ، لا تخنقى عليهم .  
 الأم : لست محنته عليهم يا أبت ، إنما أنا محنته  
 على العالم . إن أطفالى يرسلون على الدوام  
 لى منيتهم فى سبيل قضية أو أخرى ،  
 فى سبيل المحبة ، أو خلاص البشرية ، أو ما يطيب  
 لكم أن تطلقوا عليها من الأسماء والنعوت ،  
 ولكن هل تقدم العالم ؟ هل أصبح عالماً  
 أفضل ؟ وهل كان من وراء ذلك أى منفعة ؟

الرجل المعجوز : بلى يا عزيزتى . لم يكن عن ذلك محيص .  
 لقد دعمت الأساس لأروع التقاليد ، وهو  
 أمر من الأهمية بمكان ، كما تعلمين .

الأب : إننى أعلم يا حبيبتى ، كم قاسيت وتعذبت .  
 ولكننى عندما أنظر إليك الآن ...

الأم : لا تنظر إلى يارتشارد . لا تنظروا إلى  
يا أطفال . إن منظري كتيب محيف  
عندما أكون غاضبة .

الأب : إنك سريعة الانفعال كما تعلمين . على أنك  
أنت نفسك ما كنت لتتحمين أمام الموت  
إذا لم يكن من ذلك محيص .

الأم : ولكن اقتحامي للموت لا يكون إلا من  
أجلكم ، ولا لشيء آخر أبداً . من أجل  
زوجي ، من أجل أسرتي ومن أجل  
أطفالي . إنني امرأة ، فمن غير هؤلاء  
يمكن أن يهني أمره . لا ، لا ، لن أدعكم  
تنزعون مني توفى .

[فترة ست نصيرة]

أندرو : أتعلم يا أبي ، إنها على حق من بعض  
الوجوه . فتوفى حقيقة ضعيف البنية ضليل  
الجسم .

جورج : إن اضعف ما فيه شخصيته . فهو سريع  
الانفعال . وفي الوقت نفسه شديد الهلع .  
والواقع أنني لا أعرف أحداً في مثل سنه  
مجرداً من كل جرأة وإقدام مثله .

كرستوفر : إنها حالة لا يملك لها دفعاً يا جورج .

فأعصابه مختلفة . إن توفى حقيقة حسن  
التصرف واسع الحيلة ، ولكنه عصبي  
المزاج إلى حد بعيد ، حتى إننى لأتساءل  
أحياناً عما قد يوؤل إليه مصيره .

: هذا أمر يؤسف له كل الأسف . لأنه  
بهذه الحالة لن يصلح لشيء أبداً .

: لا ينبغي لكم أن تتكلموا بمثل هذا الكلام ،  
إنكم تقسون عليه ولا تنصفونه . رتشارد  
لا تُعير قوالم هذا أى الثقات . إنهم لم يقدروه  
أبداً حق قدره . توفى مرهف الحس ، هذا  
كل مافى الأمر . أما فيما عدا ذلك ، فعنابى  
به ورعايتى له قد أفادتاه كل الفائدة . وإنه  
ليسرك أن ترى كيف ترعرع ، وأصبح فتى  
قوياً صحيح الجسم . والواقع أنه أراد أن  
يتطوع فى الجيش ، ولكنم توسل إلى أن  
أسمح له فى الذهاب ، ولكننى أبيت عليه  
ذلك ، ولم أدعه يذهب . وإذن فلا لوم  
عليه ولا تريب .

: ولم لم تدعيه يذهب يادولوريس ؟  
: لأننى لا أريد أن أترك وحدى . قد يكون  
ذلك عن أثره منى ، ولكن لى بعض العذر

بيتر

الأم

الأب

الأم

في ذلك فتوفى هو كل من بقي لي اليوم  
يارتشارد . إني أتوسل إليك أن تدعني  
احتفظ به ، لأنه لو ذهب لما بقي لي شيء  
أبقي على الحياة من أجله . لاشيء إطلاقاً  
دعه لي ، اتركه يعيش معي ، أتوسل إليك ،  
اتركه من أجلي ، ومن أجل أمك . إنها  
حزينة مكتئبة . ومكدودة منهوكة القوى ،  
أرجوك ، أتوسل إليك ، قل لي أن  
لاداعي للذهاب توفى . قل لي إنك موافق .  
أما تسمع ما أقول ؟

[ فترة صمت قصيرة ]

الرجل المعجوز : رباه ، إنه لموضوع معقد شائك . يجب أن  
تتألمني أعصابك يا عزيزتي ، فقد لا يكون ثمة  
ما يدعو للذهاب توفى بعد كل هذا . ربما  
يكون قد فات الأوان . وربما نكون قد  
خسرنا الحرب وانتهى الأمر .

الأب : [ وهو منحن فوق الغريطة ] لا يا أبي ، لم نخسر  
المعركة بعد . إن من المستطاع أن نواصل  
الاحتفاظ بخط القتال هذا ، إذا أمد بكل  
ما يمكن الحصول عليه من الرجال لتعزيزه .  
لأني واثق من أن في استطاعتنا الاعتماد  
بيتر

على الشعب . إنهم مسلحون ، وسوف  
لا يجمعون على استعمال بنادقهم في الشوارع  
والطرق . سوف ترى أن الجميع يقومون  
بما يقتضيه واجب الدفاع عن الوطن ، حتى  
الصبية منهم . إنى على يقين من أنهم سيحملون  
البنادق التي كان يحملها آباؤهم قبلهم .

كرستوفر : [ وهو يتلفت حوله ] أين وضعت الأسلحة

التي اعتدنا وضعها هنا يا أمي ؟

الأم : ماذا تقول يا حبيبي ؟

كرستوفر : ماذا فعلت بسيوف أبي وبنادقه ؟

الأم : لقد خبأتها لكي لا يبتدى إليها توني .

كرستوفر : هذا مما يؤسف له . فإحدى هذه البنادق

كانت في حاجة إلى التشحيم .

جورج : [ يفتح أحد أدراج المكتب ، ويخرج منه كراسه القديمة

ويقلب صفحاتها ] من المؤسف حقاً أن

الوقت لم يتسع أمامي لإتمام هذا التصميم

الذي شرعت فيه . إن الفكرة فذة فريدة

في بابها .

[ يجلس والكراسة في يده ]

الأم : [ سبكا في دراسة الخريطة ] وددت لو أنني

المدافع عن هذا الموقع . إنه ممر جبلي

يتيح طائفة من الاحتمالات الرائعة .

- كرستوفر : خبريني يا أمي ، أين وضعت هذه البندقية ؟  
الأم : ما أشد إلحاحك [ تفتح الخزانة الخشبية ] هاهي ا  
كرستوفر : شكراً [ يتناول البندقية ويفحصها ] سوف تكون  
صالحة للاستعمال بعد أن أنظفها قليلا .  
[ يشرع في تنظيفها فوق المائدة بخزقة وبعض الشمع ]  
الرجل العجوز : والآن يا عزيزتي . ها أنت قد التفت حولك  
جميع أفراد الأسرة تقريباً .

بيتر : أسمعت هذا ؟

جورج : سمعت ماذا ؟

بيتر : هذا الصمت . هذا السكون ا

أندرو : بلى ، إنه الصمت الذي يتم عن أن أحداً  
من الناس على وشك أن يلقي خطاباً .

بيتر : من [ ينظر بعضهم إلى بعض ثم يتحولون بالنظارم  
إلى جهاز الراديو ] آه ، أنا أعرف .

الأب : [ رافداً رأسه ] ما الخبر ؟

[ ينظر في قلو إلى ناحية مكبر الصوت ]

[ فترة صمت قصيرة ]

الأم : أظنكم ترغبون في الاستماع إليه . لا شيء  
يسترعى اهتمامكم الآن سوى الحرب .

[ تدبر مفتاح جهاز الراديو ]

كرستوفر : عند ما تكون رحي الحرب دائرة يا أمي ،  
فإنه لا يكون ثمة اعتبار لشيء آخر .

صوت رجل في مكبر الصوت : وطبيعة الجيش تقرب من  
النهر . وقد نسفت كتائب المتطوعين الكباري ،  
وأخذوا أهبتهم للدفاع عن رموس المعابر إلى  
آخر رجل منهم . إذ يجب صد العدو ، ومنعه  
عن التقدم بأى ثمن . والمتطوعون يبعثون  
إليكم بالرسالة الآتية : لقد وطننا النفس على  
أن نموت ولن نتقهقر .

صوت امرأة في مكبر الصوت : إننا ندعو جميع الرجال إلى  
حمل السلاح . ندعو جميع الرجال . فقد  
أصبحنا نحن الأشخاص لا قيمة لنا ولا اعتبار .  
فنحن لا نقاتل اليوم من أجل أنفسنا ، ولكن  
من أجل وطن الآباء والأبناء ، فباسم من  
ماتوا ، وباسم الدين في الأرحام ندعو الأمة  
جميعاً إلى حمل السلاح .

الأم : لا ، توفي لن يذهب إلى القتال ، لن أذعه  
يذهب .

صوت رجل في مكبر الصوت : جاء في تقرير للقائد العام للقوات  
الشمالية أن معارك جديدة قد نشبت مع مؤخره  
الجيش وأنا ماضون في القتال عن كل شبر من

الأرض ، وكل عوسجة ، وكل كوخ ، وإن  
الفلاحين في القرى قد رفضوا مغادرة  
منازلهم وأكواخهم ، ولأنهم يدافعون عن  
أنفسهم بقوة السلاح ، حتى اضطر العدو  
إلى تدمير كل قرية ، وكل مسكن متزل  
فسواها جميعاً بالأرض ، وتركها خراباً ياباً .  
والخسائر في الأرواح فادحة غاية الفداحة .

أندرو : كم أرى لمصير هؤلاء التعماء !  
الأب : دعنا من أمر هؤلاء الآن ، هذه هي  
المناورات السليمة ، وهي كفيلة بوقف  
تقدم العدو ، ومنعه عن مواصلة زحفه .  
صوت امرأة في مكبر الصوت : وصلتنا للتو والساعة  
رسالة لاسلكية من سفينة التدريب  
« جورجون » ، فرجو السادة المستمعين  
أن ينتظرونا لحظة ريثما يتم حل الشفرة...  
سفينة التدريب جورجون . . . يا ربا  
[إنها تجنح إل الذق] أرجو السادة المستمعين  
أن يسمحوا لي بلحظة قصيرة فلي ابن  
على ظهر السفينة المذكورة .  
[فترة صت قصيرة] . حاولت السفينة  
جورجون ، وعلى ظهرها أربعائة طالب

بالبحرية أن تخرق الحصار الذى ضربه  
الأعداء، لتعود إلى قاعدتها فى الميناء . ولكنها  
أصببت بطوريبىد أطلقه عليها العدو ، فى  
الساعة الخامسة وسبع دقائق . السفينة آخذة  
فى الفرغ .

[تهنئة عميقة] طلاب السفينة يرسلون آخر  
رسالة لاسلكية إلى الوطن . لأنهم يطلبون  
سماع ... عزف نشيدنا القومى ... للمرة  
الأخيرة . آه يا بنى ، يا ولدى .

الأم : ما هذا ، أنت أيضاً لك ولد ، أنت أيضاً  
لك طفل !!

صوت رجل فى مكبر الصوت : وبهذا تنهى إذاعة الأنباء .  
نحن ننادى سفينة التدريب «جورجون»  
نحن ننادى السفينة «جورجون» الو ،  
الو ، أسمعونا اسمعوا يا طلاب  
ال«جورجون» اسمعوا بانتباه . إن وطنكم  
يرسل إليكم بتحيته الأخيرة يا طلاب  
ال«جورجون» وعظيم تقديره .

[يسمع عزف النشيد القومى من مكبر الصوت .  
ينفس جميع الموق فى صمت ويقفون وقلة التباه ]  
الأم : أربعمائة غلام ا كيف يسمع بمثل هذه

المجزرة البشرية مجزرة فتيان في ريعان الصبا .  
بيتر : أرجوك يا أمي ، كمنى عن الكلام الآن .  
[ كلهم يواصلون وقفة التمثيل العسكرية حتى نهاية  
النشيد ]

صوت امرأة في مكبر الصوت : لم تصلنا رسائل أخرى  
من سفينة التدريب « جورجون » .

كرستوفر : وداعا يا طلاب ، [ يملق بتدقيقه على الحائط ]  
صوت رجل في مكبر الصوت : إننا ندعو جميع الرجال ،  
ندعو الأمة إلى القتال ، الوطن ينادى أبناءه ،  
إلى السلاح ! إلى السلاح !

الأم : ما هذا أما تزالين تصرخين؟ أما قنعت على  
الرغم من أنك أم ، أتريدين أن تبعين بآخرين؟  
صوت رجل في مكبر الصوت : نذبح عليكم نص البلاغ الصادر  
من القائد العام لقوات المنطقة الغربية :  
نواصل القتال على طول خط القتال ضد  
قوات تفوقنا في العدد اضعافا مضاعفة .  
وقد حمى وطيس القتال من الجانبين  
بصورة شديدة للغاية . وأبلغ طيارونا اقتراب  
كتائب جديدة من كتائب العدو .

[ طرق على الباب ]

صوت توني : أمي ، أمي ؟

الأم : [تفعل جهاز الراديو] سكون .

[طرق على الباب]

صوت توفى : أمى ، أنت هنا يا أمى ؟

الأم : نعم يا ولدى العزيز [تشير إلى أحدهم ليطلبه .

النور] أنا آتية [غلام - فترة صمت قصيرة]

الأم : [تفتح قفل الباب] ماذا تريد من هنا يا توفى ؟

صوت توفى : أنت هنا فى الظلام يا أمى

الأم : أضئ النور .

توفى : [يقضى النجفة من المفتاح الموجود بجانب الباب :

الحجرة عالية من كانوا بها . ولكن الخراطط ما زال  
مبسوطة على المائدة]

مع من كنت تتكلمين هنا يا أمى ؟

الأم : لا أحد يا عزيزى .

توفى : ولكننى سمعت أصواتاً هنا .

الأم : كان هذا ... صوت الراديو لا غير

[تفتح صمام الراديو من جديد]

توفى : ولم وضعت هذه الخراطط هنا ؟

صوت رجل فى مكبر الصوت : تعلن هيئة أركان حرب القيادة

العامة ، أن طائرات الأعداء أغارت فى

الصباح الباكر اليوم على مدينة « فيلاميديا »

فدمرتها عن آخرها . وبلغ عدد ضحايا

الغارة نيفا وثمانمائة شخص من الأهلى ،

معظمهم من النساء والأطفال ، وقد دمرت  
النيران قصرنا القديم فيها ذا الذكريات  
التاريخية العزيرة علينا .

توفى : أسمعت هذا يا أمى ؟

صوت رجل فى مكبر الصوت : أصابت مستشفى المدينة قبلة  
من الجو ، وهلك ستون من نزلائه المرضى  
وأصبحت المدينة كلها طعمة للنيران

توفى : أنوسل لايك يا أمى ..

صوت امرأة فى مكبر الصوت : إننا نشهد جميع العالم . نشهد

البشرية أجمع على هذا العدوان الآثم ،

فقد أغارت طائرات العدو صباح اليوم

على قرية « بورجو » وألقت قنابلها على

مدرسة القرية . وبينما كان الأطفال يتلمسون

النجاة حصدهم العدو بمدافعه الرشاشة

فجرح ثمانون طفلا ، وقتل تسعة عشر

طفلا . وتطايرت فى الجو أشلاء ثلاثين طفلا

: ما هذا الذى تقول ؟ أطفال ؟ أم يقتلون

الأم

الأطفال الآن ؟

: [ يتلمس الخريطة ] أين موضع هذه القرية ؟

توفى

أين موضعها ؟

[ منتصبه كما لو كانت قد تحولت إلى صخر ]

الأم

أطفال ! أطفال كأبنائي عند ما كانوا  
أطفالا . أطفال بشعورهم المشبعة  
ووجوههم المتسحفة ؟

: [تخطف البندقية من مكانها على الحائط ، وتدفعها في  
يدي ثوب المدودتين ، وبمركبة كاسحة من ذراعيها]  
أذهب

الأم

ينزل الستار



مطابق کوستا سوئیس و شترک

• کوستا سوئیس و شترک  
• کوستا سوئیس و شترک